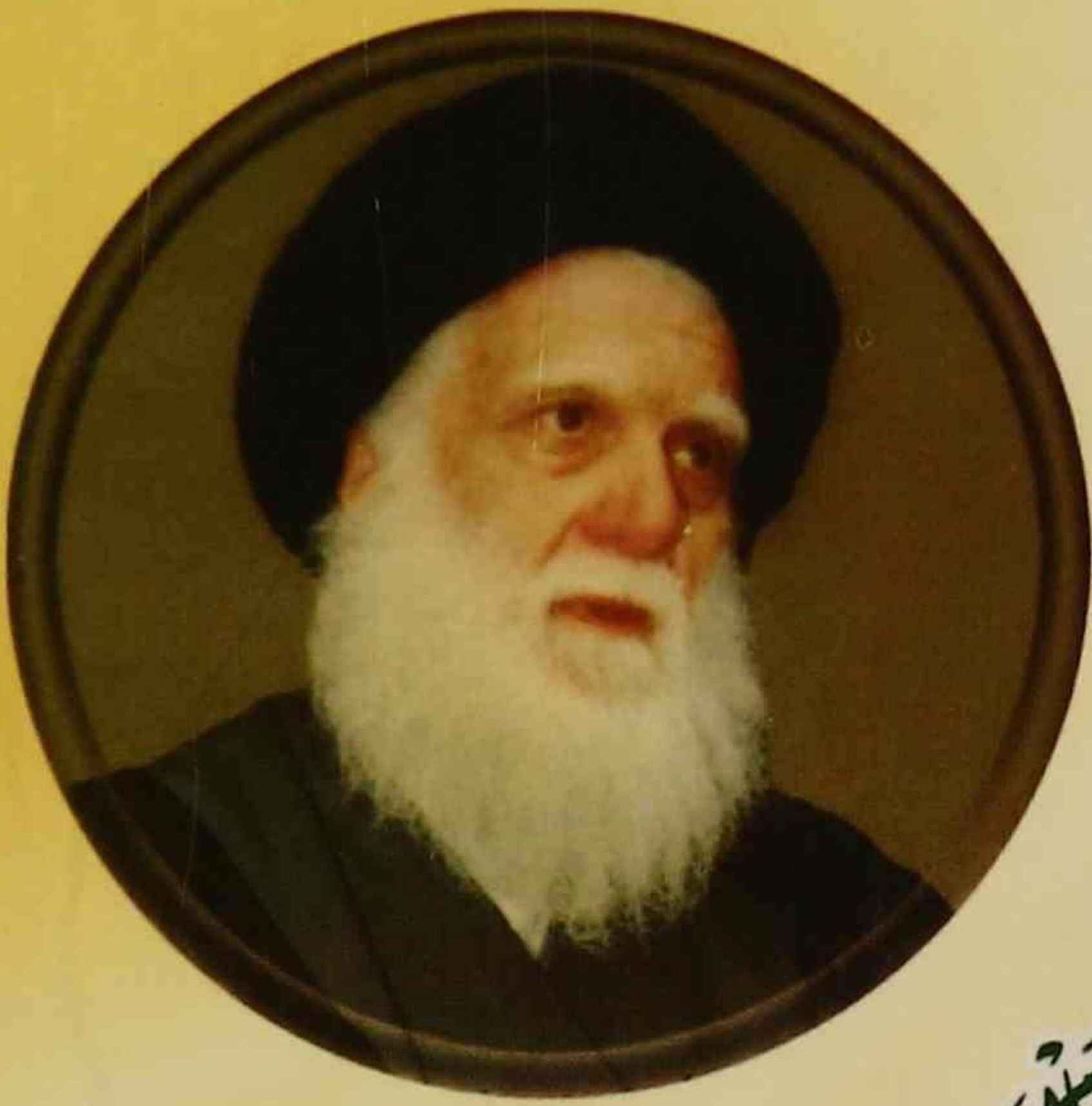


من آثار المرجع الشهيد محمد الصدر قدس سره

٢-١



رفع الشبه عن السيد

حوار عقائدي مع

الشهيد السيد آية الله العظمى السيد محمد الصدر طاب ثراه

ويليه:

استعبر من خوفنا السيد

الكتاب الثاني

من آثار المرجع الشهيد محمد الصدر

٢ - ١

رفع الشبهات عن الانبياء عليهم السلام

حوار عقائدي مع

الشهيد السعيد آية الله العظمى
السيد محمد الصدر طاب ثراه
الكتاب الاول

ويليه

أشعة من عائد الإسلام

الكتاب الثاني



جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

shiabooks.net

رابطه بديل < mktba.net

اسم الكتاب رفع الشبهات عن الانبياء (ع)

المؤلف الشهيد السيد محمد الصدر (ره)

الناشر ناظرين

عدد المطبوع ٣٠٠٠

المطبعة شريعت

الطبعة الاولى

سنة الطبع ٢٠٠٥م

شابک ٩٦٤ - ٨٤٦٥ - ٢٠ - ٧

مراجعة وتصحيح

عبد الكريم الزهيري الشيخ حسن عطوان

يطلب هذا الكتاب من مكتبة الامام الصادق (ع) قم پاساژ قدس الطابق

الارضي رقم المحل ٥١ تلفون: ٧٧٤٠٠٥٥ فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦

مقدمة الطبعة الثانية

منذ أكثر من تسعين عاماً انطلقت حركة اصلاحية في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، كانت تهدف لاصلاح النظام التعليمي في الحوزة ، واعادة بناء العلوم الاسلامية في ضوء مستجدات القرن العشرين واستفهاماته. وبدأت هذه الحركة بمبادرات فردية قام بها بعض المستنيرين من علماء الدين كالسيد محسن الامين ، والسيد هبة الدين الشهرستاني، ثم تنامت هذه المبادرات بالتدريج ومهدت فيما بعد لولادة مشروع اصلاحي كبير، عُرف باسم «جمعية منتدى النشر» نهض به نخبة من العلماء على رأسهم الشيخ محمد رضا المظفر. وشاء الله أن يبارك في هذا المشروع، فأضحت «جمعية منتدى النشر» محضناً ترعرعت في داخله أجيال من الفقهاء والخطباء والكتاب الاسلاميين، بالرغم من التهم والشائعات الواسعة التي ظلت تروجها الجماعات المتحجرة في الحوزة العلمية بحيث تمادى البعض في اسفاهه وشنائه فوصف مسعى الشيخ المظفر لتأسيس كلية لتأهيل خطباء المنبر الحسيني بقوله « قُتل الحسين مرتين مرة في كربلاء والثانية في منتدى النشر» .

غير ان الشيخ المظفر مضى بعزيمة راسخة، فأسس كلية الفقه، وأراد لها ان تنجب علماء خبراء بالتراث ومسالكه العميقة، فضلاً عن وعيهم للواقع وما يحفل به من متغيرات ثقافية واجتماعية وسياسية وغيرها. وما لبث مشروع المظفر أكثر من عقد من الزمان حتى حقق مكاسب هائلة، تجلت في تحديث بعض الكتب المقررة للدراسة في الحوزة، واعداد مقررات دراسية بديلة أزاحت مقررات تداولها الطلاب سنوات طويلة، كما تجلت أيضاً في انخراط مجموعة من تلامذة المظفر في سلك الخطباء، فدخل معهم المنبر الحسيني

مرحلة جديدة، تحرر فيها المنبر من حالته التقليدية الرتيبة، وتحول الى منارة للتثقيف والتوعية الجماهيرية، وهكذا تجلت في اقتحام علماء الدين من خريجي كلية الفقه كرسى الاستاذية في بعض الجامعات الحديثة، بعد أن توفروا على تأهيل أكاديمي، يسمح لهم بموجبه من تسنم مثل هذه المواقع العلمية خارج الحوزة .

وأخيراً تجلى مشروع الشيخ المظفر في بلوغ مقام المرجعية، عبر تليمذه السيد محمد الصدر، الذي أشاد مرجعية ثورية نموذجية تجاوزت الكثير من تقاليد المرجعيات الموروثة، وخرجت على بروتوكولات راسخة، تجعل المرجع بعيداً عن عامة الناس وتعزله عن المحرومين والمستضعفين . فقد نبذ السيد الشهيد محمد الصدر ظاهرة تقبيل يد المرجع مثلاً، وكان يمتنع عن تقديم يده لأي أحد، بل احتج بشدة على هذه الظاهرة، واعتبرها دخيلة على التقاليد الاسلامية، التي يتساوى فيها الناس امام الله، كذلك رفض أية محاولة للحيلولة بينه وبين الناس، فتوغل في شتى طبقاتهم، وفوجئت الجماهير بمرجع يكشفها بكل شيء، ويتحدث لها بصراحة من على منبر الجمعة فيسمى الاشياء بأسمائها، ويفصح عن ما يعد محضوراً البوح به من ممارسات لا تنسجم مع روح الشريعة، ولم يهمل السيد الشهيد محمد الصدر أية طبقة من طبقات المجتمع، فحتى الغجر الذين احترقوا باللهو والمجون، كان يطمح لتطهيرهم وتحريرهم من الهوان والذل والاقصاء الاجتماعي.

لكن الجماعات التي اصطفت تناهض مشروع الشيخ محمد رضا المظفر وألصقت به وبمشروعه شتى النعوت الظالمة، انقضت هذه الجماعات هذه المرة على المرجعية الاصلاحية التي مثلت ذروة تطور المشروع الاصلاحى للشيخ المظفر، فجندت كافة طاقاتها لاجهاضها واستئصالها، لأنها جسدت تحدياً هائلاً لمصالح تلك الجماعات ومطامحها .

ان السيد الشهيد محمد الصدر لن ينطفىء، لأنه تتويج لجهود وأفكار أصلية واعية، تعبر عن تيار يضم أشرف رجال الأمة الصادقين المضحين. انه باق ما دامت رؤاه ومفاهيمه متأصلة في وجدان الأمة، لأن ما ينفع الناس يمكن في الأرض.

ومن أجل ترسيخ الوعي برؤى ومفاهيم الشهيد الصدر عقدنا العزم على اعادة نشر آثاره، بطبعة محققة، ذلك ان معظم كتاباته صدرت بطبعة محلية في النجف الاشرف ونفذت من الأسواق منذ فترة. ووقع اختيارنا على رسالتين اعد أحدهما الشهيد الصدر قبل أكثر من ثلاثين سنة، ونشرت في سلسلة منابع الثقافة الاسلامية بكربلاء تحت عنوان «أشعة من عقائد الاسلام». فيما كتب الثانية جواباً على جملة أسئلة عقائدية قبيل استشهاده بأشهر، فنشرت بعنوان «رفع الشبهات عن الأنبياء عليهم السلام».

ومن الله التوفيق

الناشر

مكتبة الامام الصادق عليه السلام

١٥ رمضان ١٤٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى آدم ونوحا وال عمران على العالمين ﴿ ذرية طيبة بعضها من بعض ﴾ واصلي واسلم على جميع الأنبياء والمرسلين أولهم آدم وخاتمهم سيد المرسلين محمد صلوات الله عليه وآله وعلى اله الطيبين الطاهرين .

وبعد : فبين دفتي هذا الكتاب مجموعة قيمة من الاستفتاءات التي أُلقيت على سماحة المرجع الديني الأعلى ، زعيم الحوزة العلمية في (النجف الأشرف) آية الله العظمى السيد محمد الصدر (دام ظله الشريف)^(١) والتي تنطوي على موضوع غاية في الأهمية والخطورة لتشمل كافة الأديان الأخرى .

وكيف لا يكون بهذه الأهمية والعظمة وهو يعني عناية شديدة ومركزة في رفع كثير من (الشبهات) المضلة المناطة بما يصدر من الأنبياء من أفعال وأقوال ، وهم المنزهون المعصومون من قبل الله تبارك وتعالى ومنذ نشأة خلقهم وتكوينهم . ولكن ضعف النفوس والعقول والمغرضون من المنافقين والكفار أعداء الله والإنسان ما فتروا يجهدون أنفسهم بتأليبهم وتظاهرهم ، ومنذ الأيام الأولى للدعوة الإسلامية وحتى زمان الناس هذا ، في إثارة البدع والضلالات والفتن ... في محاولة حمقاء ساذجة ، الغرض منها : التشنيع برسالة النبي محمد صلوات الله عليه وآله ومعجزته القائمة العظيمة (القرآن الكريم) .

وذلك من خلال الالتفاف حول بعض آي القرآن الكريم ، عن طريق تأويل

١- نزلت الطبعة الاولى الى الاسواق في حياة السيد رحمة الله عليه ونحن أبقينا المتن - بما فيه المقدمة - كما هو ما عدا بعض التصحيحات المطبعية الطفيفة .

آياته الكريمة تأويلاً ساذجاً (محمولاً على الظاهر) وخاصة الآيات التي تعني بعدالة الأنبياء سلام الله عليهم .

ولكي يتسنى لهم ذلك ببسر وسهولة ، لابد لهم أولاً من إنزالهم عن منازلهم الرفيعة العظمية في أعين الناس ، ووضعهم - بدل ذلك - موضع التهمة والريبة . وبالتالي سوف يسود الناس فكر منحرف أعمى حول الإسلام وعظمة الأنبياء ، يمكن لهم من خلاله استغلاله في إمرار مآربهم الدنيئة المبيتة وفي تمزيق وحدة وصف المسلمين وكسر بيضتهم .

وبعد أن حصل لهم ما بيتوا وأصبح المسلمون مذاهب وفرق وأحزاب متناحرة فيما بينها ، وأصبح أعداء الله والإسلام هم - وللأسف - أسياد الأمم . كان لابد للمخلصين من هذه الأمة الرد عليهم ومجابهتهم بالمثل . والحق يقال انهم ومنذ عصور الأئمة المعصومين سلام الله عليهم وإلى زمان الناس هذا وهناك فئة خيرة من المؤمنين تنتفض ضد هذه الشبهات الباطلة المضلة . وفي هذا المؤلف رفع لكثير من هذه الشبهات وذلك من خلال طرح أسئلة أجاب عليها سماحة آية الله العظمى السيد محمد الصدر (دام ظله) .

والذي ينبغي التعرض له والتنويه إليه في هذه المقدمة الوجيزة عدة نقاط يحسن اننا التطرق لها وهي كالآتي:

أولاً : إننا قمنا بتصنيف هذا الكتاب على مقدمة وتمهيد ورفع شبهات وأسئلة عامة ذات صلة بموضوعنا وتفسير آي (القرآن الكريم).

ثانياً : اعتمدنا في تصنيفنا لهذا المؤلف على التسلسل الزمني للأنبياء عليهم السلام ، من لدن آدم إلى نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله .

ثالثاً : صنفنا هذا المؤلف على عدة أبواب على عدد الأنبياء عليهم السلام (محط النقاش) .

رابعاً : تعليقاً على النقطة الثالثة أقول : إننا وإن قلنا بتبويب الكتاب على

عدد الأنبياء عليهم السلام (محط النقاش) إلا أنه قد توجد بعض التداخلات بينهم وذلك لشدة الملازمة بين الأسئلة المثارة حول نفس الموضوع عند أكثر من نبي وفي ذلك اقتصاد في المطلوب وتحقيق للنفع العام.

خامساً : إلحاقاً بالنقطة السالفة أقول : إننا قد نجد شذوذاً وخروجاً عما ذكرنا في النقطة السالفة وما ذلك إلا لحكمة سوف تتضح (إن شاء الله) عند الإجابة على الأسئلة .

سادساً : اقتصرنا في هذا المؤلف على الرد على الشبهات المثارة حول بعض الأنبياء الذين أتى ذكر أسمائهم في القرآن الكريم فقط لا كلهم .

ختاماً : أسأل المولى تبارك وتعالى أن ينفع بهذا السفر عباده المسلمين ويزيل به الأوهام عن الأفهام وأن يجعل فيه صلاح الأمة ووحدتها ، قال تعالى : ﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ ^(١) صدق الله العلي العظيم . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين ...

بعض طلبة الحوزة العلمية الشريفة

تمهيد

قد يبدو للوهلة الاولى غرابة طرح مثل هذا الموضوع والمناقشة فيه . ذلك
إننا ومهما تعمقنا في إيماننا وصفاء قلوبنا ، فإننا لن نستطيع أن ندرك إدراكاً
تاماً وشاملاً لما يدور في نفوس الأنبياء سلام الله عليهم ، ومعرفة تلك
الأسرار العظيمة من وراء ما يصدر عنهم من أفعال وأقوال .

وحيث ان مجرد التفكير بذلك فيه ما فيه من سوء الادب وضعف اليقين
بعصمتهم عليهم السلام ، كان الاجدى بنا أن لا نلج مثل هذا الباب إيماناً منا
وتسليماً بأن ما يصدر منهم هو مطابق تماماً للحكمة الإلهية ، على أقل تقدير
لكونهم أصحاب تكليف باطني وظاهري .

ولكن لما كان المغرضون من الامم لم يدخروا جهداً في التشنيع عليهم
والإطاحة بعصمتهم ، من خلال تفسير^(١) ما يصدر منهم من أفعال وأقوال
تفسيراً خاطئاً . كان لزاماً على المعصومين عليهم السلام والعلماء الأعلام
الرد على هذه الضلالات والافتراءات الكافرة والقضاء عليها قضاءً مبرماً من
عالم الأفهام السانجة والأخذ بأيديهم والرجوع بهم إلى حيث احترام
المعصوم وتعظيم شأنه .

انها لجريمة كبرى تلك التي اقترفها المسلمون بحق أنبياء الله ورسله
عندما يؤمنون بتلك الافتراءات وينادون بها ، بل ويتدارسونها في معاهدهم .
حتى لقد طغت هذه الوسواس الشيطانية والافكار السرطانية على كثير من
المسلمين . ولم يبق اليوم مذهب من مذاهب المسلمين ، الا وقد انجرف مع
هذا التيار الأعمى سوى الشيعة الاثني عشرية (رضوان الله تعالى عليهم)

١- في الاصل: تأويل وبدالنا بـ (تفسير) لكي تستقيم العبارة .

الذين ما وهنوا منذ بدء تسرب هذه الافكار الملعونة إلى عالم الوجود ، وهم يزودون عن بيضة الإسلام بالسيف والقلم .

ولربما يخطر في الازهان عند البعض هذا السؤال (إذا كان المعصومون سلام الله عليهم قد أجابوا ولم يدخروا جهداً في الرد على مثيري هذه الشبهات فما الحاجة إلى هذا المؤلف ؟) .

وللإجابة على هذا السؤال عدة نقاط :

أولاً : صحيح ما ذكروا أن الائمة سلام الله عليهم جهدوا جهدهم في التصدي لرفع مثل هذه الشبهات عن الازهان ولكن ما وصلنا اليوم من تلك الاجابات قليل لا يحقق لنا النفع التام الذي نتوخاه في هذا السفر .

ثانياً : ان بعض تلك الروايات انتهت إلينا ورواتها لا يوثق بقولهم وقد عرفوا ببغضهم وعداوتهم للائمة المعصومين سلام الله عليهم . فعلى نحو المثال ما رواه علي بن الجهم الناصبي مرفوعاً عن الامام الرضا عليه السلام والتي يجب الوقوف منها موقف المرتاب .

ثالثاً : امكانية دخول روايات مرفوعة السند عن الائمة عليهم السلام وهم منها براء. وإنما وضعت من قبل شائنيهم ومناوئهم وهذا بذاته يحتاج إلى شخص عارف ومطلع على سير رجال الحديث ومدى وثافتهم ليخرج لنا الأحاديث الصحيحة السند عن الرواية الموضوعة ، وهذه عملية شاقة لا تتأتى إلا لمن ذهب عمره بالبحث والتحقيق وتتبع سير رجال الحديث أمثال السيد محمد الصدر .

رابعاً : ان هذه الروايات والاعبار موزعة في بطون الكتب امثال الاحتجاج وقصص الأنبياء ... وغيرها من المؤلفات التي قد لا تتوفر فرصة مطالعتها فضلاً عن امتلاكها لغالب الناس . إما بسبب شحها أو غلائها أو اهمال الناس للمطالعة لها أو لغيرها من الاسباب الاختيارية أو القهرية الصارفة للكثير من

الناس عن معرفة الحقيقة والاستضاءة بنورها .

خامساً : تضمن هذا المؤلف المقدم على شكل (استفتاءات وأسئلة عامة) .
اضافة بعض الشبهات والاسئلة التي قد تخطر في أذهان غالبية الناس . وقد
جمعت هذه من بعض المصادر ومن أفواه المحدثين أو من راقم هذه
السطور . وفي ذلك كسب لمناعة وثقافة نستطيع من خلالها مواجهة هذه
الانحرافات والباطيل .

سادساً : ان المتصدي للرد والاجابة ولرفع الشبهات رجل معروف لدى
أعدائه قبل أصدقائه لعشقه للعلم والمعرفة وبقوة البيان ودهشة الحجة
وشرف المحلة والمنزلة في الجانب العرفاني . وهو رجل في قلة من الافراد
المجاهدين الذين ناجزوا الجهل وأطلقوا عباراتهم ذات الصدى المدوي في
كل أنحاء الارض (لكل سؤال جواب) . فحقيق بطلاب العلم في شتى مجالاته
أن ينهلوا ما استطاعوا ويملؤوا قراهم من عذب علم هذا الرجل الفاضل .

حديث حول العصمة

ثم أرى أنه ينبغي علينا بعد كل ما ذكرناه أن نتناول لفظ (العصمة) بشيء من الذكر في هذه العجالة لأنها العمدة والعماد في بحثنا هذا .

فأقول : ان العصمة ضرورة في الأنبياء والرسل والائمة والملائكة سلام الله عليهم . وبها يتضح الفرق بينهم وسائر المخلوقات .

وقد قال الصدوق (قدس الله ضريحه) : (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والائمة والملائكة صلوات الله عليهم أنهم معصومون مطهرون من كل دنس . وانهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ...

و اعتقادنا فيهم أنهم (معصومون)^(١) موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل امورهم (و)^(٢) أو اخرها ، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص (ولا عصيان)^(٣) ولا جهل^(٤) .

ويقول علماء الإسلام عن معنى العصمة عند الأنبياء والائمة سلام الله عليهم بأنها : (تطهير الله لهم وتنزيهه إياهم من الرجس والذنب والزلل والمعصية والدنس والاثم والخطأ والسهو والنسيان والاشتباه والغفلة والوهم ، وإذهابه لها عنهم بإيجاده تعالى فيهم) لطفاً يقربهم من الطاعات والواجبات الشرعية ويبعدهم عن المعاصي والمحرمات الشرعية) أو (ملكة تقتضي عدم مخالفة التكاليف الشرعية الالزامية عمداً أو سهواً مع القدرة

١- اثبتناه من المصدر .

٢- اثبتناه من المصدر وفي الاصل: إلى .

٣- اثبتناه من المصدر .

٤- الصدوق / الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي / الاعتقادات في دين الامامية

على الخلاف (١).

بقي علينا الالماع إلى أمرين مهمين يتعلقان بالعصمة يجدر بنا تناولهما بشيء من الذكر لتتضح لنا الصورة كاملة لا نقص فيها وهما :

الامر الاول : وهو يختص بالحكمة من عصمتهم عليهم السلام ويمكن الاجابة على ذلك بذكر حكمتين رئيسيتين لذلك :

الحكمة الاولى : تطهير (تزكية) من الله تبارك وتعالى للمعصوم عليه السلام بأنه ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (٢).

الحكمة الثانية : حفظ أحكام الشريعة الاسلامية الالهية من الاضاعة والوضع والاختلاف والتصحيف والتحريف والتحويل والتغيير والزيادة والنقصان وتبليغها كاملاً (٣).

الامر الثاني : ذكر بعض الفروق ما بين المعصوم بالعصمة الواجبة والمعصوم بالعصمة غير الواجبة وهي بالاضافة إلى ما ذكره من امور نستطيع اضافة ثلاثة فروق اخرى بين بعضها البعض ، وهي :

الفرق الاول : ان المعصوم بالعصمة الواجبة من الأنبياء والائمة (عليهم السلام) لديهم في الواقع الحال تكليفين (ظاهري وباطني) والباطني يكون بينه وبين الله عزوجل وإذا تعارض التكليفان وجب على المعصوم العمل بالتكليف الباطني الذي قد يظهر في بعض الاحيان لعامة الناس بأنه خلاف المنطق والحكمة كما في مصالحة الامام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان .

الفرق الثاني : ان التسديد والالهام الالهي غير منقطع عن المعصوم

١- دروس في مجال التفكير الاسلامي (غازي سعيد السعد، غازي سعيد / دروس في مجال التفكير

٢- النجم: ٢.

الاسلامي)، ص ١١٨ .

٣- نفس المصدر والصفحة .

بالعصمة الواجبة وحتى الاسهاء ممتنع عنه فضلاً عن السهو ^(١) بلحاظ ان العصمة غير الواجبة ربما يتعرض صاحبها لذلك اقتضاءً وانجازاً لحكمة الله تبارك وتعالى .

الفرق الثالث : ان المعصوم بالعصمة الواجبة موسوم بالعلم (الحضورى) في حين ان عامة الناس موسومون بالعلم (الحصىلى) ^(٢) .
وخلاصة الكلام : ان الأنبياء سلام الله عليهم جميعهم معصومون بالعصمة الواجبة .

وبعد أن انهينا الحديث عن العصمة (بإيجاز) ينبغي لنا بعد ذلك - اتماماً للفائدة - التعرض بشيء من الذكر عن الفرق ما بين النبي والرسول وعن النسبة بينهما ، فأقول : (ذكر علماء المنطق ان النسبة بينهما هي نسبة عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول) .

وللاستزادة من ذلك أقول : (ان الأنبياء وعددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي فيهم ثلاثة مائة وثلاثة عشر رسول فقط . وان من بين هؤلاء الرسل خمسة هم أولو العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والرسول محمد عليهم وعلى آل محمد أفضل الصلاة والسلام) .

ويمكن أن يظهر الفرق بين النبي والرسول من خلال هذين الحديثين المرويين، الاول عن الامام الرضا عليه السلام والثاني عن الامامين الباقرين سلام الله عليهما وهما :

روي عن الامام الرضا عليه السلام : (الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام)

١- السهو الناتج من الشيطان من قبل الله تبارك وتعالى .

٢- وبيان ذلك يحتاج الرجوع إلى علم المنطق .

والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع (١).
وفي كتاب البصائر عن الباقرين عليهما السلام : (والمرسلون على أربع طبقات
فنبى تنبأ في نفسه لا يعدو غيرها ، ونبي يرى في المنام ويسمع الصوت ولا
يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد ، وعليه امام مثلاً كان إبراهيم على لوط .
ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد ارسل إلى طائفة قلوبا
أو كثروا كما يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴾ (٢) . وقال يزيدون ثلاثين ألفاً ، ونبي يرى في منامه ويسمع
الصوت ويعاين في اليقظة وهو امام مثل اولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً
وليس بإمام ، حتى قال ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ قال ومن ذريتي قال لا
ينال عهدي الظالمين ﴾ (٣) .

بقي لنا أن نعلم أن الشبهة سميت بشبهة لأنها تشبه الحق ولكنها ليست
منه في مقابل البديهة فانه يردّها ويقول عنها انها : (شبهة مقابل بديهة) .
وبعد هذا الايجاز في التقديم والاسباب في التمهيد بقي لنا الولوج في
صلب الموضوع بعد أن أصبح الهدف منه معلوماً .

ختاماً نسأل المولى تبارك وتعالى أن يحفظ لنا المذهب وأن يكون هذا
الجهد المتواضع نافعاً ومقبولاً عنده ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ
بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا
مسلمون ﴾ (٤) صدق الله العلي العظيم .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الانبياء وعلى خاتم
النبيين محمد صلوات الله عليه وآله وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً .

١- الكليني / الشيخ الجليل محمد بن يعقوب / اصول الكافي / ج ١ / ص ٢٣٠ . علق عليه جعفر شمس

٢- الصافات : ١٤٧ .

الدين / دار التعارف .

٤- عمران : ٦٤ .

٣- البقرة : ١٢٤ .

الباب الاول

آدم (عليه السلام)

- ١ - قال تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(١).
- ٢ - قال تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ ^(٢).
- ٣ - قال تعالى : ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ ^(٣).
- ٤ - قال تعالى : ﴿ فتاب عليه ربه إنه هو التواب الرحيم ﴾ ^(٤).

١- البقرة : ٣٥ . الاعراف : ١٩ .

٢- الاعراف : ٢٣ .

٢- طه : ١٢١ .

٤- البقرة : ٣٧ .

الشبهة (١) :

وفق ما يفهم من سياق الايات الكريمة (السالفة التلاوة) فقد صدر من آدم عليه السلام الظلم للنفس وارتكاب المعصية ولا أقل من اثبات ذلك عليه من كونه طلب (المغفرة والتوبة) من المولى (جل وعلا) فكيف تفسرون لنا ذلك مع القول بعصمته عليه السلام ؟ .

وقد يقال نفس الشيء بالنسبة إلى نبي الله نوح عليه السلام ، حيث قال : ﴿ .. وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ ^(١) . ومع نبي الله يونس عليه السلام حيث قال جلّ جلاله على لسانه عليه السلام : ﴿ إني كنت من الظالمين ﴾ ^(٢) . وعلى لسان موسى عليه السلام : ﴿ تبت اليك وأنا أول المؤمنين ﴾ ^(٣) . وأيضاً قوله : ﴿ قال رب اغفر لي ولاخي ... ﴾ ^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ... ﴾ ^(٥) .

الجواب : بسمه تعالى : كل مؤمن يقر لا محالة أمام الله سبحانه وتعالى بالذنب ويسأله العفو والمغفرة والرحمة لا يختلف في ذلك المعصوم وغير المعصوم .

أما غير المعصوم فواضح باعتبار ان له ذنوب فعلية ويستحق عليها العقاب لولا العفو الالهي أو الشفاعة . وأما المعصوم فمن عدة جهات ، بعد التسالم على أن معنى العصمة هو عدم وجود الذنب عنده على غرار ما هو موجود في غيره . فاذا لوحظ هذا المستوى كان الاستغفار بلا موجب لان الذنب غير موجود لديه . ولكن لا ينحصر الاستغفار في ذلك ، بل يمكن أن

٢- سورة الانبياء - آية ٨٧ .

٤- سورة الاعراف - آية ١٥١ .

١- سورة هود - آية ٤٧ .

٢- سورة الاعراف - آية ١٤٣ .

٥- سورة القصص - آية ١٦ .

يكون على مستويات اخرى : منها :

المستوى الاول : التواضع أمام الله سبحانه والتضرع اليه . فهو يعتبر نفسه مذنباً وإن لم يكن كذلك لاجل المزيد من التواضع والتضرع .

المستوى الثاني : ان المعصوم وإن كان معصوماً عن ذنوب عموم الناس ، إلا أنه له مستواه الخاص به الذي يشعر من خلاله بكونه مذنباً أمام الله سبحانه والذي يسمى بلغة المتشرعة (مخالفة الأولى) والتي أصطلح عليها بأنها (الذنوب الدقيّة) فيستغفر الله منها .

المستوى الثالث : ان الله تعالى لا متناهي في جميع الجهات ، ولا يستطيع العبد مهما اوتي من كمال أن يبلغ حق طاعته أو عظمته ، بل يبقى الفرق عظيماً بينهما لا محالة . فمن أجل الشعور بهذا القصور والتقصير يمكن أن يستغفر المعصوم .

ومن الممكن القول عندئذ ان لكل واحد من هذه المستويات كما لغيرها من مستويات الذنوب نتائجها الخاصة بها كالغواية والظلم ونحوهما مما نصت عليه الايات الكريمة . فكما يمكن أن نلاحظ الذنب (دقيا) غير قابل للصدق على سائر الناس كذلك يمكن أن نفهم الغواية والظلم على هذا المستوى أيضاً ويرتفع الاشكال.

الشبهة (٢)

١ - قال تعالى : ﴿ فوسوس اليه الشيطان .. ﴾ ^(١) .

٢ - قال تعالى : ﴿ فوسوس لهما الشيطان .. ﴾ ^(٢) .

المعصوم لا يمسه الشيطان ولا يوسوس له .. فكيف تفسرون قوله :
تبارك وتعالى السالف التلاوة والحاكي عن وسوسة الشيطان لآدم

وزوجته؟ . وقد يقال نفس الشيء إلى موسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ هذا من عمل الشيطان .. ﴾ ^(١) و ﴿ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾ ^(٢) .

الجواب : بسمه تعالى : اما بالنسبة إلى آدم ، فقد وسوس اليه الشيطان بنص القرآن ، أي قال له بالواجهة والمشفاهة وليس كالوسوسة الاعتيادية . وأما بالنسبة إلى موسى عليه السلام فقوله : هذا من عمل الشيطان انما هو نقل عن قول الكافرين وليس مطابقاً للواقع . وأما قوله لن أكون .. الخ فهو نفى له موافق للعصمة من هذه الناحية .

الباب الثاني

نوح (عليه السلام)

الشبهة (٣)

قال تعالى في كتابه الكريم مخاطباً نوح عليه السلام : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ ^(١) . وقد جاء هذا الايماء (حسب الظاهر) بعد قوله تعالى : ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن .. ﴾ ^(٢) وقد كان اذ ذاك (يام) ابن النبي نوح عليه السلام وحتى غرقه (كافراً) ولا يستحق المغفرة والرحمة لكفره وعناده ، فكيف نعلل نداء نوح عليه السلام لربه (جلّ وعلا) وطلبه لابنه (المغفرة) وقد كان الاخرى به عليه السلام أن لا يدخل قلبه الاسى على هذا الكافر المعاند ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : الاسى يدخل قلب المؤمن من ذنوب المذنبين لا يختلف في ذلك المعصوم عن غيره كقوله تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ ^(٣) . وقوله تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون ﴾ ^(٤) . وقد روي ان الحسين عليه السلام بكى على حال المعسكر المعادي لتورطهم بالجريمة .

وهذا أمر طيب وطبيعي وله مناشيء صحيحة . فان المؤمن يود أن يكون كل الناس مؤمنين وناجين . ويشفق على من يورط نفسه بالذنوب ويود أن تخلص الارض من الذنوب والعيوب ، لان ذلك أقرب إلى طاعة الله وعظمة الله . فاذا رأى الحال على خلاف ذلك كله ناله الحزن لا محالة . وكذلك الاستغفار للمؤمنين والمذنبين أمر طيب وكذلك التمني بحصول الهداية والايمان للاخرين . لا يختلف ذلك بين أن يكون ولداً أو قريباً أو صديقاً أو لم يكن ولا يتعين أن يكون ذلك بالعاطفة الشخصية التي نجّل عنها المعصومين سلام الله عليهم .

الباب الثالث

ابراهيم (عليه السلام)

الشبهة (٤)

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر اتَّخَذُ أُصْنَاماً آلِهَةً .. ﴾ ^(١) .
أليس قول إبراهيم لابيه (آزر) باسمه فيه سوء أدب منه عليه السلام تجاه آزر أو
ما شابه ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا لاجل هدايته وصلاحه في الدنيا والاخرة .
كما قال له : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ
صِرَاطاً سَوِيّاً ﴾ ^(٢) . وكانت محاولاته لهدايته عديدة لانه يعتبرها الجزاء
الحقيقي تجاه أتعابه عليه .

فان الجزاء الحقيقي إنما هو سعادة الاخرة لا سعادة الدنيا . بل من
الممكن القول : ان سوء الادب سيكون لو تركه سائراً في غيه مستمراً على
ذنوبه . وليس سوء الادب في الهداية أكيداً .

مضافاً إلى ان السؤال يفتح لو كان آزر هو أبوه ووالده الحقيقي ليكون
سوء الادب تجاهه متحققاً ، مع التنزل عما سبق . ولكن ثبت بالدليل عدم
كونه أباً له . وإنما يناديه بذلك باعتباره المربي له ومعه فسوء الادب تجاهه
ليس بفضيع لانه ليس والده الحقيقي .

مضافاً إلى أن سياق الآية واضح في أن (آزر) لم يقع في كلام
إبراهيم عليه السلام . وإنما يبدأ كلامه بقوله : ﴿ اتَّخَذُ أُصْنَاماً آلِهَةً ﴾ .

الشبهة (٥)

قال تعالى : ﴿ وما كَانَ استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدها إياه فلما تبينَ لَهُ أَنَّهُ عدوٌّ لِلَّهِ تبرأَ مِنْهُ ... ﴾ ^(١) .
اعتقد أن عداء (آزر) وكفره بالله (تبارك وتعالى) كان ظاهراً غير خاف عن إبراهيم عليه السلام منذ البداية ، فبماذا تفسرون لنا قوله تعالى : ﴿ فلما تبينَ لَهُ ؟ ﴾ .

الجواب : بسمه تعالى : اعتقد أن المراد : أنه تبين له أنه لا يستحق المغفرة وأن الله لن يغفر له . أو تبين له : أنه غير صالح للهداية بل هو مصر ومعاند . وهذا لم يكن واضحاً من قبل . كما قال تعالى : ﴿ ما كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ ^(٢) .

الشبهة (٦)

قال تعالى : ﴿ فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ... ﴾ ^(٣) .
وقال تعالى : ﴿ فلما رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ... ﴾ ^(٤) . وقال تعالى : ﴿ فلما رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ... ﴾ ^(٥) . أليس في قوله عليه السلام هذا شرك ظاهر لا نعلمه منه عليه السلام ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : جواب ذلك موجود في كل كتب التفسير . وحاصل الوجوه الممكنة عدة أمور :

الاول : أن يكون قوله : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ مسوقاً مساق الاستفهام الاستنكاري يعني أن هذا لا يمكن ان يكون ربي .
الثاني : ان يكون ترديداً لاعتقاد الكفار لاجل الوصول بهم إلى النتيجة

٢- عمران : ١٧٩ .

٤- الانعام : ٧٧ .

١- التوبة : ١١٤ .

٣- الانعام : ٧٦ .

٥- الانعام : ٧٨ .

التي يريد لها وهي التوصل إلى التوحيد المطلق . لكي يكون ذلك لازماً لهم وهداية لهم .

الثالث : ان يكون هذا من قبيل مستويات التربية التي مرّ بها إبراهيم عليه السلام ، قبل بلوغه الدرجة الرفيعة . وكان هذا حاصلًا في أول أمره كما هو واضح تاريخياً .

كما أنه من الواضح انه مرّ بتدرج في المراتب فقد جعله رسولاً ثم جعله خليلاً ثم جعله إماماً . فمن الممكن أن يكون قد مرّ في مراحل الاولي بمثل ذلك .

الشبهة (٧)

قال تعالى : ﴿ فقال إني سقيم ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون ﴾ ^(٢) . أليس في هذا الادعاء منه عليه السلام كذب (على الظاهر) وهو المعصوم عليه السلام ؟

الجواب : بسمه تعالى : أما الآية الاولى فجوابها واضح لاننا لا نستطيع أن نقول كونها كذب لاحتمال أن يكون سقيماً فعلاً لمرض فيه بل يجب أن نقول ذلك لانه معصوم لا يكذب .

وأما الآية الثانية : فكل كتب التفسير تصدت لذكر الوجوه فيها . ومنها : أولاً : ان هذا الخبر يعتبره منوطاً بالشرط : ﴿ ان كانوا ينطقون ﴾ ولكن حيث انهم لا ينطقون ، إذن فلم يفعلهم كبيرهم .

ثانياً : ان (كبيرهم) ليس فاعلاً بل مبتدأ وخبره هذا . يعني هذا هو كبيرهم . وأما فاعل (فعله) فهو ضمير ليس له ذكر في العبارة يعود على الفاعل الواقعي .

ثالثاً : ان المراد من (كبيرهم) انسان لا صنم ، وهو إما أن يراد به إبراهيم كما احتمله ابن عربي في تفسيره باعتبار تسلطه عليهم وعلى تكسيرهم . أو يراد به نمرود الذي جعله ونصبه للعبادة^(١) ويكون الفعل المسند إليه هو الضلال الناتج منهم وليس التكسير.

الشبهة (٨)

قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ .. ولكن ليطمئن قلبي .. ﴾^(٢) . نحن نعلم أن إبراهيم عليه السلام وجميع المعصومين عليهم السلام في أعلى درجات اليقين بقدرة الله عز وجل على إحياء الموتى ، فكيف كان هذا القول منه ؟ .

الجواب: بسمه تعالى : الاطمئنان حالة نفسية واليقين حالة عقلية . فيمكن أن يكون اليقين موجوداً ، والاطمئنان النفسي أي استقرار القلب والخلود إلى الراحة الفكرية غير موجود . وبذلك العمل الذي أمره الله تعالى به حصل له الاطمئنان ، وليس هو اليقين لكي يصح السؤال .

الشبهة (٩)

قال تعالى : ﴿ .. نكرهم وأوجس منهم خيفة .. ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف .. ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع .. ﴾^(٥) .

الخوف من غير الله قبيح وهو منهم عليه السلام أقبح . والمعروف ان موطنه الاصلي هو النفوس غير المتكاملة ، فكيف تفسرون لنا خوف إبراهيم عليه السلام وهو في أعلى درجات تكامله النفسي ؟ . وقد يقال نفس الشيء تجاه

٢- البقرة : ٢٦٠ .

٤- الذاريات : ٢٨ .

١- اي الذي نصب نفسه للعبادة .

٣- هود : ٧٠ .

٥- هود : ٧٤ .

موسى عليه السلام بعد قتله للقبطي ؟ . قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَلَي ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ .. ﴾ ^(٣) .

الجواب : بسمه تعالى : الخوف من غير الله سبحانه ليس بقبيح لانه قهري وجبلي لا يمكن الفكك منه . وهو مقتضى النظر إلى الاسباب التي سنها الله تعالى في خلقه . كقول زوجة إبراهيم عليه السلام : ﴿ أَلَدُ وَأَنَا عَجُوز ﴾ ^(٤) . وقول زكريا : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتُ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ^(٥) .

هذا مضافاً إلى أنه يمكن أن يرى الفرد وجود مصلحة عامة في الحفاظ على ذاته لاجل اطاعة الله وهداية الناس . فيجب عليه تجنب أسباب الموت والقتل . فيكون خوفه مشروعاً وصحيحاً .

الشبهة (١٠)

قال تعالى : ﴿ .. يَجَادِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ ^(٦) .

قد يقال في المقام ، ان الرسل ليس لهم إلا التبليغ والامتنثال لامر الله المولى جلّ وعلا فما معنى مجادلة إبراهيم عليه السلام فيهم ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هو يرجو رحمة الله فيهم والعطف عليهم . فاذا حصل الاصرار على ذلك وذكر المبررات له صدق معنى المجادلة وهو غير مخل بمقام النبوة .

٢- طه : ٤٥ .

٤- هود : ٧٢ .

٦- هود : ٧٤ - ٧٥ .

١- الشعراء : ١٤ .

٢- القصص : ١٨ .

٥- مريم : ٨ .

الباب الرابع

لوط (عليه السلام)

الشبهة (١١)

قال تعالى : ﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ قالوا يا لوط أنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴿ (١) .

أولاً : الأنبياء عموماً ما فيهم إلا القمة في الشجاعة فماذا عن نبي الله لوط عليه السلام بقوله (قوة) و (ركن شديد) ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا فيه رواية تقول ما مضمونه : انه لم يكن ذلك إلا تمناً لظهور المهدي عليه السلام والدخول تحت سيطرته وركنه الشديد . فانهم جميعاً وان كانوا شجعان ، إلا أن ذلك مما يتفاوت فيما بينهم .

ثانياً : كيف خفي على لوط المعصوم عليه السلام ان ضيوفه من جنس الملائكة . وقد يقال نفس الشيء بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام مع ضيفه المكرمين ، وعن داود عليه السلام مع خصميه ؟ .

الجواب : يمكن ان يكون ذلك مما لم يكشفه الله سبحانه لهم . وهو غير مغل بمقام النبوة لانه ليس من النسيان المستحيل عليهم . لانهم لم يسبق لهم العلم بذلك والنسيان منحصر بسبق العلم .

الشبهة (١٢)

قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا .. ﴾ (٢) .

كيف كان شكل الخيانة التي صدرت منهما ؟ .

الجواب: بسمه تعالى : يكفي في ذلك عدم إيمانهما بهؤلاء الانبياء ونصر الاعداء ضدهم . فانه خيانة بلا شك بل هو أهم واشنع من الخيانة الجنسية المعروفة .

ومن الواضح انه لا يجب في زوجات الانبياء أن يكن مؤمنات ولا معصومات . بل قد يحدث خلافه ، وإذا حصل فانه من البلاء الدنيوي للنبي ﷺ لكي يزيد الله به درجاته .

الشبهة (١٣)

قولكم في جواب الشبهة أعلاه إن الخيانة من (واغلة) و (واهلة) امرأتي نوح ولوط عليهما السلام لم تكن جنسية بل كانت بعدم إيمانهما . هنا تتولد شبهة اخرى وهي : كيف بقيتا على ذمتيهما عليهما السلام وهما (كافرتين) ؟ .

الجواب: بسمه تعالى : له أكثر من جواب واحد :

١ - ان عدم الايمان يعني الفسق أحياناً وليس الكفر الكامل .

٢ - انه لم يكن في شريعتهما ان الكفر يفسخ عقد النكاح .

الباب الخامس

يعقوب ويوسف (عليهما السلام)

الشبهة (١٤)

قال تعالى على لسان اخوة يوسف عليه السلام : ﴿ .. وتكونوا من بعده قوماً صالحين ﴾ ^(١) . أي بعد قتله أو طرحه في الارض . وقال تعالى على لسانهم أيضاً في ردهم على أبيهم يعقوب عليه السلام : ﴿ تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ ^(٢) .

هناك رواية تذكر أن اخوة يوسف عليه السلام كانوا أنبياء أيضاً ، والنبي لا بد أن يكون معصوماً . فكيف تنطوي أفكارهم على مثل هذا الفعل القبيح ؟ ثم أليس في قولهم لابيهم في هذه اللهجة فيه سوء أدب وكذب صريح ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : اخوة يوسف مفسرون بالاسباط والاسباط أنبياء ^(٣) إلا أن هذا التفسير غير مؤكد الصحة وإن كان مظنوناً . وعلى أي حال فلا دليل على كونهم معصومين أساساً ولذا فعلوا في أخيهم يوسف ما فعلوا .

ثم لو قلنا بانهم أنبياء فلا بد من القول : بأن فعلهم ذلك كان من أجل أمر خاص من الله سبحانه لهم لأجل مصالح عامة يعلمها الله سبحانه في خلقه . وأما قوله : ﴿ لفي ضلالك القديم ﴾ ففيه أكثر من جواب :

الاول : انه يراد به جهة دنيوية وليس جهة اخروية أو دينية .

الثاني : ان مستوى الادب المتوقع في داخل الاسرة الواحدة ليس هو

٢- يوسف : ٩٥ .

١- يوسف : ٩ .

٢- كما قال تعالى : وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط . (سورة النساء ١٦٣)

بنفسه المتوقع بين سائر الناس . فمن الممكن أن لا يكون كلامهم ذلك من سوء الادب ، وهم أولاده ومن أسرته .

الشبهة (١٥)

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا .. ﴾ ^(١) . هي همت بالزنا فيماذا هم هو عليه السلام ؟ . وكيف تخرجون ذلك لنا تخريجاً عقلائياً مقنعاً .

الجواب : بسمه تعالى : في حدود فهمي : فإنها همت به بالضرب بعد أن علمت إباءه عن طاعتها على الفاحشة . فهم بها بالضرب كرد فعل على مظلوميته . أو هو نحو من العقوبة على إرادة السوء . ولكنه ﴿ رأى برهان ربّه ﴾ ولم يفعل ، لانه فكر انها مربية له وكافلة لمصالحه منذ عدة سنوات ، فمن غير المناسب جداً أن يضربها .

كما يمكن أن تكون هي همت بالفاحشة وهو هم بالضرب . أو هم بالتظاهر مؤقتاً بالطاعة خوفاً منها أو هم بالهرب .

الشبهة (١٦)

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ .. ﴾ ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ .. ﴾ ^(٣) .

أقول : أما كان الاخرى بيوسف عليه السلام ان يذكر الله ويطلب منه الرحمة والنجاة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا من النظر إلى الاسباب الذي قلنا فيما سبق انه لا بد منه . ويمكن أن يكون فعل ذلك لامر الله سبحانه أو لاجل ادراكه مصلحة عامة تتعلق باطلاق سراحه ، كما قد حصل فعلاً ، فكان لا بد من التسبيب إلى ذلك لا أن يحصل ذلك بالمعجزة .

٢- يوسف : ٢٣ .

١- يوسف : ٢٤ .

٣- يوسف : ٤٢ .

الشبهة (١٧)

قال تعالى : ﴿ .. أيتها العيرُ إنكم لسارقون ﴾ ^(١) .

هذا القول من يوسف عليه السلام لاختوته في هذا المحل اتهام للبريء ، فكيف تخرجون لنا يوسف عليه السلام من هذه الشبهة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : ينبغي الالتفات إلى أن هذا الخطاب ليس لاختوته فقط بل لمجموع القافلة . ولذا يقول : ﴿ أيتها العير ﴾ . ومن الممكن أن يكون في القافلة من مارس السرقة قبل ذلك أو عند وصوله إلى مصر ولم يقل : انكم سارقون للصواع . وإنما يريد اظهار ذلك لاجل اخيه بنيامين منهم . وكما قال تعالى : ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ ^(٢) .

الشبهة (١٨)

قال تعالى : ﴿ وابيضت عيناهُ من الحزن فهو كظيم ﴾ ^(٣) .

هذا الجزع والحزن من يعقوب على فراق يوسف قبيح ومستتهجن من يعقوب عليه السلام لان فيه (على الظاهر) قلة صبر واحتمال على نوائب الدنيا ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : لعن الله الذي يقول ذلك . وإنما هو لاجل الاستغفار على بعض مراتب الذنوب الدقيقة التي كان يراها يعقوب عليه السلام في نفسه تجاه الله سبحانه . وقد يكون ذلك تجاه يوسف أو غيره . فهو حزين من موقفه ذلك تجاه الله سبحانه ما لم يحرز منه الرضا والغفران ، فكان رد بصره دليل الرضا والغفران .

الباب السادس

موسى وهارون (عليهما السلام)

الشبهة (١٩)

قال تعالى : ﴿ .. وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ ^(١).

وقال تعالى : ﴿ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا إلا تتبع أفعصيت أمري قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي ﴾ ^(٢).

في هاتين الايتين الكريمتين ، الشبهة هنا لها عدة أقسام وهي :
أولاً : هارون عليه السلام كان نبياً فكيف جاز لموسى عليه السلام ان يوصيه بالاصلاح .
وهذا أمر ناتج منه من غير وصية . إلا يعد مثل هذا القول لغواً منه وحاشاه .
ثانياً : اتهام موسى لأخيه هارون عليه السلام بالمعصية له قبل الاستفسار منه ،
ألا يعد هذا اتهاماً للبريء ؟ .

ثالثاً : اعتداء موسى عليه السلام على نبي اليس فيه سوء خلق ومعاملة ؟ .

رابعاً : بماذا تفسرون قول هارون عليه السلام لموسى عليه السلام : ﴿ انني خشيت أن تقول ... ﴾ في هذا ظن بالمقابل ، ان لم يكن عند هارون مقدمات لهذا الظن ؟ .
الجواب : بسمه تعالى : أولاً : يمكن أن تكون الايات وصية عامة لكي يعمل بها كل الناس في كل الاجيال . مضافاً إلى انها تنحو منحى الاثبات ،
يعني أنها لاسماع الاخرين الذين لم يكونوا مدركين للعصمة في هارون عليه السلام .
ثانياً : يمكن حمله على الاستفهام الاستنكاري ، يعني لا يمكن أن تكون

قد عصيت امري . أو حملة على الجانب الاثباتي لاراءة الناس انه لم يعص .
بعد أن يسمعوا عذره .

ثالثاً : لم يحصل أي اعتداء . فان غاية ما تدل عليه الاية هو كلام هارون :
﴿ لا تأخذ .. الخ ﴾ الذي يعتبر نفسه - ولو تواضعاً أو تنزيراً - أهلاً للعقوبة .
ولكنه في مقام الاعتذار يقول : ان هذه العقوبة بلا موجب لوجود العذر .
مضافاً إلى أن الاخذ بالرأس واللحية ليس اعتداء . فان مستوى الاخلاق
الاجتماعية في ذلك الحين لم يحكم بكونها اعتداء . والمجتمع يومئذ لم يكن
يدرك الاخلاق التفصيلية التي ندركها الان .

مضافاً إلى أن النتيجة قد حصلت وهي عبادة العجل ، وهي نتيجة مؤسفة
حقاً . وقد حصلت حال مسؤولية هارون . فلا يكون غيره هو المسؤول عنها
ولعل موسى كان يتوقع ان يعمل هارون أعمالاً اضافية لمنع حصولها ولم
يعمل ، وكان من الناحية الاخلاقية مسؤولاً أمامه . ومن هنا فان كان قد أخذ
برأسه ولحيته ، كان بمنزلة العتب وليس اعتداء .

(وتعلمون ان كل الوجوه بعضها يصدق بعد التنزل عن البعض) .

الشبهة (٢٠)

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ .. قال رب أرني أنظر اليك ﴾ ^(١) . ان
مثل هذا السؤال المنكر لا يحصل إلا من الجاهلين فكيف تفسرون صدور
من موسى عليه السلام .

الجواب : بسمه تعالى : هذا يراد به النظر المعنوي أو القلبي وليس النظر
المادي . وما يصدر من الجاهلين هو طلب النظر المادي لا المعنوي . كما قال
أمير المؤمنين عليه السلام : انه لا تراه الابصار ولكن تراه القلوب بحقائق الايمان . أو
كما قال ابن الفارض : فامنن ولا تجعل جوابك : لن ترى .

الشبهة (٢١)

قال تعالى : ﴿ فلما بلغا مجمعَ بينهما نسيا حوتهما ... ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ... ﴾ ^(٢) .

هذا اعتراف صريح من موسى عليه السلام بالنسيان مع كونه معصوماً فبماذا ترفعون لنا هذه الشبهة ؟ .

ولربما يقال بنفس الشيء عن الرسول صلى الله عليه وآله في خطاب الله له (على الظاهر) في قوله تعالى : ﴿ .. وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين ﴾ ^(٣) . وقوله تعالى : ﴿ وإما ينسيتك الشيطان ... ﴾ ^(٤) .

الجواب : بسمه تعالى : بالنسبة إلى الايتين الاوليتين :

أولاً : يمكن ان يكون تعبيراً آخر عن النسيان العملي يعني انها حالة تشبه النسيان عملياً وليست نسياناً حقيقياً .

ثانياً : ان القاعدة العامة وإن كانت هي استحالة النسيان للمعصومين عليهم السلام إلا أن الله سبحانه قد يريد ذلك لهم احياناً .
فهذا يكون كذلك .

وأما بالنسبة إلى الايتين الاخيرتين :

أولاً : يمكن ان يكون المقصود عموم الخطاب لاي انسان .

ثانياً : انه لم يثبت له النسيان . لان القضية الشرطية تصدق بكذب طرفيها يعني ان حصل النسيان ، ولن يحصل .

وأما الآية الاخيرة (وإن كنت ...) فالمقصود بها الرتبة يعني لولا اللطف الالهي لكان من الغافلين . وهذا صحيح لانه لولا هذا اللطف لم يكن معصوماً وإنما كان معصوماً باللطف .

الشبهة (٢٢)

قال تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ^(١) . كيف خاف موسى من حبال السحر وعصيتهم مع أنه صاحب معجزة عظيمة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى :

أولاً : ان موسى في تلك اللحظة لم يكن يعلم ان الله سبحانه سيأمره بإلقاء عصاه .

ثانياً : انه أوجس في نفسه خيفة في أن يفشل دليل الحق بأزاء دليل الباطل . وليس انه خاف من السبب الطبيعي .

الشبهة (٢٣)

قال تعالى : ﴿ فَعَلَّتْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ^(٢) . ماذا عنى موسى عليه السلام بقوله : ﴿ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : قالها باحد وجوه : اما باعتقاد خصومه وإما كسراً للنفس وتواضعاً . وإما بمعنى انه قبل النبوة والرسالة فهو في ذلك الحين كان ضالاً عن النبوة والرسالة ، وهي ملازمة مع تركيز الهي عالي ، ولم يكن هذا التركيز موجوداً ، فهو يعتبر نفسه ضالاً من هذه الجهة .

الباب السابع

عزيز (عليه السلام)

الشبهة (٢٤)

قال تعالى : ﴿ .. أَنَّنِي يَحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾ (١) .

(انى) لها ثلاثة أحوال في اللغة العربية : للحال بمعنى (كيف) وللزمان بمعنى (متى) وللمكان بمعنى (أين) . وهي في أحوالها الثلاثة هذه منكورة من قبل عزيز (ع) في سؤاله عند مروره على القرية الميتة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى :

أولاً : ان عزيز لم يثبت كونه معصوماً أصلاً .

ثانياً : ان هذه القصة لم تثبت انها لعزيز أو قل : لم تثبت انها لمعصوم .

ثالثاً : انها إذا حملت على معنى الزمان والمكان كانت سؤالاً اعتيادياً قد

يخطر في البال . وتكون متضمنة لمعنى توقع الاحياء بقدرة الله تعالى .

بخلاف ما إذا حملناها على معنى (كيف) . فيكون دليل العصمة - لو طبقناه

هنا - دليلاً على أن المقصود هو الزمان والمكان لا الكيفية .

الباب الثامن

داوود وسليمان (عليهما السلام)

الشبهة (٢٥)

قال تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ... ﴾ (١) .

كيف حصل الخطأ في الحكم عند داوود عليه السلام مع كونه نبياً ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : لم يحصل خطأ إطلاقاً بل كلاهما حكم فقهي صحيح . ولكن كلام سليمان كان أصح . وهذا المقدار من الفرق لا ينافي العصمة .

الشبهة (٢٦)

قال تعالى : ﴿ فاستغفرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ (٢) .

الظاهر من سياق الايات المتقدمة على هذه الاية الكريمة ، ان نبي الله داوود عليه السلام قد ارتكب معصية وإلا لما استغفر وندم . وإلا بماذا تخرجون لنا ذلك ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : لم يحصل منه شيء سوى انه خالف القاعدة العامة في القضاء ، وهي مطالبة المدعي بالبينة . وإنما لم يطالبه لانه علم ان الحق معه في تلك الواقعة فاستغنى عن البينة . وهذه من الذنوب (الدَّقِيَّة) التي لا تنافي العصمة وليس من الذنوب العامة التي تنافيها .

مضافاً إلى امكان ان يقال : انه باستغفاره اعتبر نفسه مذنباً . فغفرنا له الذنب الذي اعتبره على نفسه ولو مجازاً أو تنزيلاً .

الشبهة (٢٧)

قال تعالى : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(١).

لماذا أساء النبي سليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الظن بالهدد ، فيما اطلع عليه ورآه؟. واذا قلنا ان علة ذلك أن سليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يعتقد بعدم وجود قوم لا يعبدون الله (عز وجل) في الارض ... أليس دخل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الغفلة المعصوم منها ؟ .

الجواب : بسمه تعالى :

أولاً : ان كان هذا الاحتمال المشار اليه موجوداً فهو ليس من الغفلة بل هو من عدم علم الغيب . ولا نتوقع من كل معصوم أن يكون مطلعاً على كل شيء دفعة واحدة . أو قل : لا نتوقع منه أن يعلم الغيب ما لم يعلمه الله له .

ثانياً : ان الهدد غير معصوم ولا بأس بالشك فيه . وخاصة إذا استلزم تصديقه امور كثيرة ومهمة ، كالذي حصل فعلاً .

مضافاً إلى إمكان حمله على الجهة الاثباتية يعني تعريف الناس بصدقه لكي لا يقولوا ان سليمان صدق الهدد بدون دليل .

الشبهة (٢٨)

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٢).

هل كان سليمان فعلاً لا يستطيع الاتيان بعرش بلقيس ملكة سبأ ، واذا قلنا (لا يقدر) ، أليس في هذا دليل كاف على جواز امامة المفضول على الفاضل ؟ وإلا فما وجه الحكمة من طلبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع قدرته على انجاز نفس العمل؟

الجواب : بسمه تعالى : الوجه في ذلك تعريف الآخرين في مختلف

الاجيال بأن هذا المعنى ممكن وله عدة أساليب في الإنجاز وأن أصحابه وهم الأقل منه يستطيعون ذلك فكيف به ؟

مضافاً إلى إمكان القول : ان التفضيل بالنبوة انما يعتبر في علم آخر غير هذا العلم . أو قل : انه يعتبر في العلم العقلي لا العلم العملي وهي زيادة الكرامات والمعجزات . فان مجرد زيادة ذلك لا يؤهله للنبوة . فمن الممكن أن يكون سليمان عليه السلام أكثر في العلم العقلي واولئك أكثر في العلم العملي . ولا ينافي ذلك منصب النبوة والرسالة .

الشبهة (٢٩)

قال تعالى : ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فُطْفُقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْاَعْنَاقِ ﴾ ^(١) . هذه الشبهة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي :

القسم الاول : هل صحيح ما ذكره بعض المفسرين من كون سليمان عليه السلام غفل عن أداء الصلاة حتى توارت (الشمس) بالحجاب (أي غابت) ؟ .

القسم الثاني : ذكر أكثر المفسرين ان سليمان عليه السلام ارجع الخيل التي فتنته ثم قتلها . فما ذنب الخيل ؟ .

القسم الثالث : ذكر بعض المفسرين أن سليمان قطع أعناق وأرجل الخيل أثناء قتلها . أليس المثلثة لا تجوز حتى بالكلب العقور ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا كله من تفسير العامة ، وهي نقل تاريخي ضعيف ، والاحتمال مبطل للاستدلال . وإنما الوارد عندنا لا ربط له بالخيل أصلاً . وإنما كان سليمان يخاطب الملائكة : انه ردوا الشمس عليّ ثم بدأ يتوضىء للصلاة ، وكان وضوءهم يحتوي على المسح بالسوق والاعناق . يبقى سؤال واحد فقط : وهو عن ترك الصلاة . وهذا ما حصل لامير

المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) أيضاً . والوجه فيه : ان الفرد قد يقع في تراحم بين تطبيق امرين إلهيين ، فيجب عليه تقديم الالم على المهم . وعند ذلك يكون ترك الصلاة متعيناً عليهم لان هناك تكليف اهم منه ، والدليل على عدم تقصيرهم في ذلك ، هو أن الله سبحانه أيدهم برد الشمس . اذ لو كانوا مقصرين - وحاشاهم - لما أرجعها الله لهم .

الشبهة (٣٠)

قال تعالى : ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إِنَّكَ أَنْتَ الوهاب ﴾ (١) .

طلب سليمان عليه السلام هذا ، يشعر بأن فيه عليه السلام شيئاً من البخل ، ما لم يكن هناك شبهة نرجو من سماحتكم رفعها عنه .

الجواب : بسمه تعالى : هذا الجانب فيه شبهتان وليست واحدة : الاولى : انه طلب ذلك طمعاً بالدنيا والمال ونحوه . وجوابه : تنزيهه عن ذلك باعتبار عصمته . وإنما طلبه لكي يتسبب إلى أن لا يعصي الله أحد من خلقه من الجيل المعاصر له على الاقل . الثانية : البخل لانه قال لا ينبغي لاحد من بعدي . وجوابه : انه لم يقل لا تعطه لاحد من بعدي . وإنما المراد ان الملك يكون من السعة والاهمية بحيث لا يتحمله الآخرون ويفشلون في قيادته . والله تعالى لا يعطي أحد أكثر من استحقاقه وما يوجب فشله . إذن ، فهذا لا ينبغي لاحد من بعده . إلا أن الله تعالى لم يستجب له هذا الدعاء لانه سوف يعطي المهدي عليه السلام أكثر مما أعطى سليمان عليه السلام ؟

الباب التاسع

يونس (عليه السلام)

الشبهة (٣١)

قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .
هل صحيح ان يونس عليه السلام ظن ان الله لا يقدر عليه كما يفهم من سياق ظاهر الآية الكريمة - نعوذ بالله من قول الزور - ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا الظاهر غير محتمل من الجاهل فضلاً عن الفاضل ، فلا يحتمل صدوره من النبي يونس عليه السلام وإنما تأويله : ما قاله بعض أهل المعرفة من أنه ظن انه متكامل إلى درجة لا يحتاج معه إلى امتحان الهي جديد . مع أنه كان بحاجة إلى ذلك، ومن هنا قهره الله سبحانه وتعالى بامتحان الحوت .

ويمكن أن يكون (نقدر) يعني نقل . فيكون المراد أنه ظن ان لن يقلل الله عليه فضله . وهذا صحيح . وإنما حبسه الله تعالى في الحوت ليس لاجل ذلك . بل لكونه ترك دعوة نبوته قبل موعدها الحقيقي وهو من الذنوب (الدقية) التي لا تنافي العصمة . ومن هنا كان مغاضباً (يعني غضباناً) من عصيان قومه .

الباب العاشر

زكريا (عليه السلام)

الشبهة (٣٢)

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّي أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ ۝ ﴾^(١).

(انى) في اللغة العربية تأتي على ثلاثة أحوال وقد مر ذكرها الشبهة (٢٤) وفي حالاتها الثلاثة هنا قبيح صدورها من زكريا .

الجواب : بسمه تعالى :

أولاً : يمكن أن تكون بمعنى الزمان فيكون سؤالاً اعتيادياً قد يخطر في البال . ولا ينافي العصمة . والاحتمال دافع للاستدلال .

ثانياً : انها لو كانت بمعنى (كيف) فانما هي باعتبار النظر إلى الاسباب المركوزة في الذهن والشديدة التأثير عليه . كما قد يكون بياناً لعدم استحقاقه لهذه الهبة من باب التواضع .

الشبهة (٣٣)

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّي اجْعَلْ لِي آيَةً ... ۝ ﴾^(٢).

ما سر هذا الطلب من زكريا عليه السلام فلربما تدخل الشبهة في قوله هذا من كونه وصل إلى مرحلة اليأس من روح الله ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا لكي لا يشك فيه قومه وفيهم المنافقون والعصاة لتكون الآية بياناً لصدقه .

الباب الحادي عشر

عيسى (عليه السلام)

الشبهة (٣٤)

قال تعالى : ﴿ اني متوفيك ورافعك إلى ﴾ ^(١).

نحن نعلم أن عيسى عليه السلام حي يرزق رفعه الله اليه فبماذا تفسرون لنا قوله (متوفيك) ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : الوفاة ليست هي الموت بل معنى ينطبق على مصاديق عديدة . والمهم فيها هو ملاقات الله والذهاب اليه معنوياً . وذلك قد يكون في الموت وقد يكون في النوم كما قال الله تعالى : ﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي تمت في منامها ﴾ ^(٢) . وقد يكون بالجسد الدنيوي كما في عيسى عليه السلام .

الباب الثاني عشر

الرسول محمد صلوات الله عليه

الشبهة (٣٥)

قال تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .. ﴾ ^(٣).

ما هو الذنب الذي قررت الآية الكريمة غفرانه للرسول المعصوم صلوات الله عليه ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا مذكور مفصلاً في التفاسير . وله عدة وجوه

منها :

- ١ - ان المراد الذنوب (الدقية) لا الذنوب العامة .
- ٢ - ان المراد الذنوب باعتبار اعترافه بها تواضعاً لا ثبوتها حقيقة .
- ٣ - ان الخطاب الواقعي لغير النبي ﷺ .
- ٤ - انه حمّله ذنوب امته ثم غفر له . وهو مروي .

الشبهة (٣٦)

قال تعالى : ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيّنات من ربي ... ﴾ ^(١) .

قوله تعالى (نهيت) و (لما) القضية مسكوت عنها قبل النهي واتيان البيّنات . مع العلم أن الرسول ﷺ كرم الله وجهه عن عبادة من سواه قبل البعثة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذه البيّنات ثابتة له منذ أول أمره فالنهي والاجتناب ثابت له منذ ذلك الحين . وليس طارئاً كما يتخيل السائل . وليس المراد بالبيّنات النبوة أو ما حصل بعدها، ولم يقل ذلك في الآية .

الشبهة (٣٧)

قال تعالى : ﴿ ... ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ... ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لا تعلمهم نحن نعلمهم ... ﴾ ^(٣) .

ظاهر سياق الايتين الكريمتين ان الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ وهي تسمه بعدم الاطلاع على الغيب وعدم معرفته بالمنافقين ، فكيف ذلك وهو عنده ﷺ علم الكتاب .

الجواب : بسمه تعالى : يمكن أن يتلخص الجواب بعدة امور محتملة :

١ - ان المراد غير النبي وصح من باب : إياك أعني فاسمعي يا جارة .

٢ - ان هذا المعنى ثابت لولا اللطف الالهي . ولكن هذا اللطف متحقق فهذا المعنى غير ثابت عملياً . وإنما نفيه رتبي لا أكثر .

٣ - ان كل ذلك يكون في إقدار الله سبحانه وإعلامه . فقد يكون ان الله سبحانه لا يريد ذلك في بعض الموارد ، لمصلحة فيه .

الشبهة (٣٨)

قال تعالى : ﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً ﴾^(١) .

هذا الركون اليس هو ممتنع عن المعصوم عليه السلام حتى ولو كان قليلاً ، ان فيه معصية لله (عزوجل) فبماذا تخرجون لنا هذه الاية الكريمة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى :

١ - ان هذا التثبيت موجود من أول الامر فالركون منتف منذ ذلك الحين فيكون هذا تعبيراً عن تعدد الرتبة لا أكثر .

٢ - ان الاية صريحة بعدم حصول الركون بقرينة كاد ولم يحصل حقيقة .

٣ - ان الركون القليل قد تكون فيه مصلحة ثانوية يكون فيها صحيحاً ، كما لو جاملهم لاجل هدايتهم ونحو ذلك .

الشبهة (٣٩)

قال تعالى : ﴿ واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله

أحق أن تخشاه . فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ، لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ... ﴿ (١) .

ذهب كثير من المفسرين إلى التشنيع على الرسول ﷺ في قصته مع زينب بنت جحش التي كانت تحت زيد . وهي لا يقبلها العقل والمنطق . وقد ضربوا بها عصمة الرسول ﷺ فكيف تفسرون لنا الآية الكريمة ، وتقولون بها فصل الخطاب ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : لم يقصر السيد الطباطبائي في الميزان من إبراز وجه الصحة لذلك : قال : ومن ذلك يظهر أن الذي كان النبي يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها لا هواها وحبه الشديد لها وهي بعد متزوجة ، كما ذكره جمع من المفسرين .

أقول : ويكون معنى ما الله مبديه : ان هذه الآية نزلت لبيانه وأمره بأن يتزوجها .

وقال : فظاهر العتاب الذي يلوح من قوله : وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ... مسوق لانتصاره وتأيد امره قبال طعن الطاعنين ممن في قلوبهم مرض ، نظير ما تقدم من قوله : عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين .

الشبهة (٤٠)

قال تعالى : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ... ﴾ (٢) .

ما المقصود بقوله (ضالاً) ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : له عدة وجوه منها :

١ - ان يكون الخطاب لغير النبي ﷺ .

٢- ان يكون المراد التقدم الرتبي ، يعني القصد إلى خلقته لولا الهداية الالهية .

٣- ان يكون المراد المراتب العليا من الكمال ، فان كل مرتبة فيها تعتبر ضللاً بالنسبة إلى ما فوقها .

الشبهة (٤١)

قال تعالى : ﴿ ... تريد زينة الحياة الدنيا ... ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ... ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ... ﴾ ^(٣) .

هذه الايات الكريمة في سياق الحديث مع الرسول ﷺ - على الظاهر - وهي تنطوي على تعليمات أخلاقية وهي ممتنعة مع الرسول ﷺ الموسوم بالكمال ؟ .

الجواب : بسمه تعالى :

١- ان يكون الخطاب عاماً لسائر الناس .

٢- ان التشريع وتوجيه الامر والنهي لا يعني احتمال العصيان . وإنما يعني زيادة اهمية العمل .

الشبهة (٤٢)

قال تعالى : ﴿ ... حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ ^(٤) .

على أي وجه جاء قولهم مع الرسول ﷺ : (متى) . فالاية تشعر انها جاءت على وجه اليأس (والعياذ بالله من الفهم الساذج) وقلة الصبر ؟ .

الجواب : بسمه تعالى :

١- ان لا يكون المراد به النبي بل قائد ديني ولو لم يكن معصوماً .

٢- انه استفهام ساذج لتمني الخير .

٣- انه نظر إلى الاسباب، والمفروض انها مفسدة في الظاهر أكيداً، وقد سبق ان النظر الى الاسباب جبلي في الفطرة الانسانية .

٤- لو نظرنا إلى الاسباب حصل اليأس على ما هو المفروض . إلا أن العبارة بلاشك تدل على التفاؤل والامل بالله سبحانه على الرغم من صعوبة الاسباب .

الشبهة (٤٣)

قال تعالى: ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ﴾^(١) .

هل أوشك صبر الرسول ﷺ على النفاذ حتى احتاج إلى هذا الانذار المرعب ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : كما قلنا في جواب الشبهة رقم (٤١) ومعه لا تكون الآية دالة على ذلك اطلاقاً .

الشبهة (٤٤)

قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾^(٢) .

هل حصل الاكراه من الرسول ﷺ ؟ وكيف كان نوع الاكراه ؟ ولماذا لم يلتزم (ص) بقوله ﴿ لا إكراه في الدين ﴾^(٣) ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : لم يحصل ذلك اطلاقاً إلا ما حصل من الحروب النبوية . والاية لا تريد بيان ذلك ولا الاحتجاج عليه . وإنما الذي يظهر منها :

ان النبي ﷺ لمدى حرصه على إيمان الناس ، كان يود لو كانت له فرصة إكراه الناس على الايمان . فهي تنفي ذلك وان يبعد النبي ﷺ ذلك عن ذهنه .
الشبهة (٤٥)

قال تعالى : ﴿ ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ (١) .

هل هذا يعني ان الأنبياء يمكن أن يقتلوا بحق ؟ .
الجواب : بسمه تعالى : هذا يتوقف على وجود ما يسمى بمفهوم المخالفة في الآية وهو غير موجود، لان مفهوم الوصف باطل في علم الاصول .
الشبهة (٤٦)

قال تعالى : ﴿ ولقد اوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (٢) .

ظاهر الآية الكريمة ان هذا الايحاء المرعب موجه إلى الرسول ﷺ وإلى الأنبياء من قبله (عليهم السلام) . فاذا قلنا بعصمتهم (عليهم السلام) أصبح هذا الايحاء (لغواً) نعوذ بالله من الفهم الساذج . فبماذا ترفعون عنا هذه الشبهة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا تحذير وهو موجود لكل أحد وهو في منزلة الأنبياء بمنزلة الوحي ويمكن القول بانه ثابت في المرتبة السابقة على العصمة رتبة لا زماناً ان لولاه لما كانت العصمة وهذا يكفي لدفع اللغوية .
الشبهة (٤٧)

قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ (٣) .

ظاهر الآية الكريمة أن هناك عتاب موجه إلى الرسول ﷺ في قوله تعالى : ﴿ لم تحرم ﴾ فهل حرم الرسول ﷺ شيئاً من الشريعة أمر الله عزوجل بحليته وإذا علمنا الجواب بـ (كلا) فلماذا قال الله تعالى له ﷺ : ﴿ تحرم ﴾ ؟ .
الجواب : بسمه تعالى : هذا التحليل غير منصوص بل هو ثابت بمقتضى القاعدة العامة وممضى من قبل الله فإذا حرمه النبي على نفسه لا يكون قد حرم شيئاً منصوص الحلية وإنما نسبه الله إلى نفسه باعتبار الامضاء له لا أكثر .

الشبهة (٤٨)

قال تعالى : ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ﴾ ^(١) .

النبي ﷺ يحب ما يحب الله سبحانه ويكره ما يكره الله سبحانه ، فما معنى مجادلته ﷺ عن هؤلاء المبغوضين ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا أيضاً - كما قلنا في إبراهيم عليه السلام ^(٢) - من التمني والطلب لرحمة الله سبحانه للمذنبين وهو ليس عيباً ولا نقصاً . وإنما هو من حسن الظن بالله سبحانه وأجابه الله سبحانه في الآية ان هذا يوجد دونه المانع وهو ذنوب هؤلاء المجرمين فيكون الله سبحانه لا يحبهم فمن أجل ذلك لا يستجيب الدعاء برحمتهم .

الباب الثالث عشر

أسئلة عامة

س ١ / قال تعالى : ﴿ اني اريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ﴾ (١).

كان الاولى (بهابيل) تقديم النصيحة بدل استفزاز قابيل ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا طبعاً بعد اليأس من هابيل بسماع قابيل لنصيحته ، ولا أمر لمن لا يطاع .

س ٢ / قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً ﴾ (٢).

١ - هل كان رفعه إلى السماء ام المقصود المنزلة العظيمة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : السماء غير مذكورة هنا في الآية . وإنما هو من فهم المفسرين وإنما المكان العلي يعني العالي من الناحية المعنوية .

٢ - هل اخنوخ (ادريس) ما زال حياً (وفي السماء) ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا هو المشهور ، والله العالم .

٣ - هل الرواية الواردة عن الامام الصادق عليه السلام والتي تقول ان مسجد

السهلة في الكوفة كان بيت (ادريس) عليه السلام صحيحة أم لا ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : انا لم أسمع بهذه الرواية وإنما فيه مقام

إدريس عليه السلام .

س ٣ / قال تعالى : ﴿... فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتى بها من

المغرب ﴿١﴾ .

بماذا تجيبون لو قال لكم (الغلاة) في حب أمير المؤمنين عليه السلام بأنهم عبدوه لانه استطاع ارجاع الشمس من المغرب ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : انهم ماذا يقولون عن يوشع الذي ردت له الشمس . وكذلك سليمان حسب الرواية السابقة .

وعلى أي حال فالولاية التكوينية تقتضي ذلك وعلي عليه السلام له ذلك من الله تعالى هبة وليست بالاستقلال . وكيف يكون المخلوق خالقاً ؟ . وهو مُركَّب يحتاج إلى مُركَّب؟.

س ٤ / قال تعالى : ﴿ وخرّوا له سجداً ... ﴾ (٢) .

كيف كان عنوان السجود ليوسف ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : كما كان السجود لادم ، شكراً لله على نعمته واللام في كلا الموردين لا تقتضي الاستقلالية عن الله سبحانه ولو اقتضت لوجب تأويلها لانه سيكون سجوداً محرماً .

س ٥ / قال تعالى : ﴿ يا بَنِيَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ... ﴾ (٣) .

ماذا خشي يعقوب عليه السلام عليهم ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا في رواية انه خشي عليهم اصابة العين وهذا ما ذكرناه في فقه الاخلاق ج ٢ فراجع .

س ٦ / قال تعالى : ﴿ وقالت اخرج عليهن ... ﴾ (٤) .

هل كان خروجه عليهن طوعاً أم كرهاً ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : ماذا يترتب على ذلك من أثر ، إذا فهمناه من هذه

الناحية أو لم نفهمه ؟ .

س ٧ / قال تعالى : ﴿ ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ (١) .

ماذا عنت زوجة العزيز بقوله ﴿ لم أخنه ... ﴾ مع تلك الاعمال التي صدرت منها ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : في حدود فهمي أنها قصدت الخيانة الجنسية يعني لم تتزوج بعد وفاة زوجها شخصاً آخرأ ولا قاربت شخصاً بالحرام لكي تبقى خالصة له .

س ٨ / قال تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ (٢) .

١ - من هم ياجوج وماجوج ؟ .

٢ - أين موقعهم الان من الارض ؟ .

٣ - متى يكون خروجهم من وراء السد الذي بناه ذو القرنين ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا كله فيه روايات معروضة في كتب التفسير وقصص الانبياء وأغلبها بطرق العامة . نحن لا نعلم الواقع على واقعه .

س ٩ / كيف أصبح موسى تابعاً للخضر عليه السلام مع كون موسى هو الاعلم وهل نستطيع ان نعتبر ذلك دليلاً على إمامة المفضل على الفاضل ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : موسى هو الذي طلب المتابعة . ووعده بالصبر والمتابعة انما هي زمالة في سفر وليس من قبيل الامامة . لكي تكون امامة المفضل على الفاضل .

س ١٠ / قال تعالى : ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك

سولت لي نفسي ﴿ (١) .

هل هناك سر في هذه الحفنة من التراب التي قبض عليها السامري بيده وأين نبذها وما هو ذلك السر ان وجد ؟؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا فيه رواية تقول : ان السامري عرف ان أحد الافراس هو جبرئيل عليه السلام وهو المقصود بالرسول في الآية . فأخذ تراباً من أثره يعني في المنطقة المحددة التي داس عليها ، فأثرت تلك الحفنة هذا التأثير الكبير .

س ١١ / قال تعالى : ﴿ فاخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ﴾ (٢) .

العجل كان من السامري . فكيف حصل فيه الخوار ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : ليس في القرآن الكريم ما يدل على أنه ليس عجلاً حقيقياً . فلعله عجل حقيقي بقرينة قوله : له خوار . وليس للعجل غير الحقيقي خوار بطبيعة الحال . وأما كونه من زينة القوم فقد البسه الذهب لاجل المزيد من العناية والهيبة . وهكذا سولت له نفسه .

س ١٢ / أين أصبح التابوت الان وماذا كان يحتوي ؟؟ .

قال تعالى : ﴿ ... يأتاكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ (٣) .

الجواب : بسمه تعالى : المشهور بين المتشرعة : انه من مواريث الانبياء وهو موجود عند حجة الزمان المهدي (عج) وأما بحسب القانون الطبيعي فلا ضير أن نقول بأنه تلف كأي شيء آخر قديم .

س ١٣ / ماذا كانت قصة داود عليه السلام مع اوريا المزعومة ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هي موجودة في التوراة المتعارفة وفي بعض

كتب التاريخ وهي تحتوي على نسبة الظلم للنبي داود عليه السلام . ومن هنا نستطيع ان نجزم بكذبها . وهي غير موجودة في القرآن ولا في السنة الصحيحة .
س ١٤ / قال تعالى : ﴿فلولا ان كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾^(١).

هل كان سيمكت يونس في بطن الحوت إلى يوم البعث حياً أم ميتاً ؟ .
الجواب : بسمه تعالى : ظاهر الآية انه سيمكت حياً وإلا لهضمته معدة الحوت . كما أن ظاهر الآية ان الحوت نفسه سيبقى حياً . وهذا كله ان كان يحدث فهو بالمعجزة والارادة الالهية . ولكنه لم يحدث لانه كان من المسبحين .

س ١٥ / قال تعالى : ﴿يا اخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ...﴾^(٢) .
هل كان هارون اخا لمريم العذراء وهل كان صالحاً أم فاسقاً ؟ .
الجواب : بسمه تعالى : هذا من جهل المفسرين حتى قالوا ان عيسى ابن خالة^(٣) موسى عليه السلام ، باعتبار ان المقصود من هارون أخو موسى . مع العلم ان الفاصل الزمني بينهما كبير جداً فلا يكون ذلك معقولاً . بل المراد بالآية أحد أمرين : إما أن يكون هارون شخص آخر وهذا غير مستبعد . وإما أن يكون المراد كونها من ذرية هارون - اخو موسى عليه السلام - يعني كونها هارونية النسب كما نقول : اخو تيم وأخو ربعة . يعني من هذا النسب أو العشيرة .
س ١٦ ، لم سمي عيسى عليه السلام بالمسيح ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : يعني ممسوح برحمة الله الخاصة والمعروف من التوراة المتداولة ان هذا لقب احترام يقال للانبياء والكبار، كداوود وغيره، ومن هنا سمي عيسى بالمسيح احتراماً له .

س ١٧ / قال تعالى : ﴿ عبس وتولى ... ﴾ (١).

هل المقصود بالاية الرسول ﷺ ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هكذا زعم الزاعمون وهم كاذبون لاجل تبرأة بعض مشايخهم من أن يكون قد تورط في هذا العمل . فان المروي عندنا ان المخاطب هو عثمان بن عفان وهو الذي فعل ذلك .

س ١٨ / قال تعالى : ﴿ ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء

العالمين ﴾ (٢).

ما معنى (اصطفاك) الاولى وما معنى (اصطفاك) الثانية في الاية الكريمة؟ .

الجواب : بسمه تعالى : اصطفاك الاولى بمعنى اختارك والثانية بمعنى فضلك . ولم يفعل ذلك جزافاً بل نتيجة لحسن نواياها وتعبها بالعبادة واخلاصها بالعمل .

س ١٩ / قال تعالى : ﴿ ... اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر

رأيتهم لي ساجدين ﴾ (٣).

كيف كان سجود الكواكب والشمس والقمر ليوسف ؟ .

الجواب : بسمه تعالى : هذا مما لا نعلمه وأن يوسف عليه السلام كيف علم أنهم

ساجدون . فقد يكون ذلك بنحو معنوي أو قد يكون رأهم على شكل انسان

ساجد ونحو ذلك .

التفسير

١ - قال تعالى : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهم فتعالى الله عما يشركون ﴾ ^(١).

بسمه تعالى : يعني نسبوا ذلك إلى الاسباب لا إلى الله سبحانه، والذميم منه هو عزل السبب عن القدرة الالهية والنظر اليه بالاستقلال، وظاهر الآية انهم عندئذ يكونون كذلك .

٢ - قال تعالى : ﴿ فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى ﴾ ^(٢).

بسمه تعالى : امره بالتحفي لاجل احترام المنطقة التي هو فيها وهو بالوادي المقدس المسمى طوى . ووصفه بالمقدس مشعر بالعلية والسببية لهذا الاحترام .

٣ - قال تعالى : ﴿ وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ ^(٣).

بسمه تعالى : الضمير في (به) وقوله تعالى : ﴿ يكون ﴾ يعود إلى عيسى عليه السلام وأما الضمير في ﴿ موته ﴾ فقد يعود اليه أيضاً فيكون السياق دليلاً على طول عمره كما هو معروف، وقد يكون عائداً إلى أي واحد من أهل الكتاب، فيكون المراد به ان الواحد منهم يعيش في الدنيا كافراً به على الحقيقة، وان تخيل انه مؤمن به، وحين يأتيه الموت والاحتضار تنكشف له الحقيقة فيؤمن به، ويعرف انه كان على ضلال .

٤ - قال تعالى : ﴿ حتى إذا استفيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا

جاءهم نصرنا فنُجِّي من نشاء ﴿ ١١ ﴾ .

بسمه تعالى : انظر ما قلناه سابقاً في قوله تعالى ﴿ متى نصر الله ﴾ فانه يكفي لفهم هذه الاية . وأما الظن فهو بمعنى العلم . واليأس هنا بمعنى اليأس عن اطاعة المجتمع لهم وكف الاذى عنهم . وهو مفهوم من قوله تعالى : ﴿ فنُجِّي من نشاء ﴾ .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

الفهرس

٣	مقدمة الناشر.....
٧	المقدمة
١١	تمهيد
١٥	حديث حول العصمة
١٩	الباب الاول.....
١٩	آدم <small>عليه السلام</small>
٢٣	الباب الثاني.....
٢٣	نوح <small>عليه السلام</small>
٢٤	الباب الثالث
٢٤	ابراهيم <small>عليه السلام</small>
٢٩	الباب الرابع.....
٢٩	لوط <small>عليه السلام</small>
٣١	الباب الخامس.....
٣١	يعقوب ويوسف <small>عليهما السلام</small>
٣٤	الباب السادس
٣٤	موسى وهارون <small>عليهما السلام</small>
٣٨	الباب السابع
٣٨	عزيز <small>عليه السلام</small>
٣٩	الباب الثامن.....
٣٩	داود وسليمان <small>عليهما السلام</small>
٤٣	الباب التاسع
٤٣	يونس <small>عليه السلام</small>
٤٤	الباب العاشر.....
٤٤	زكريا <small>عليه السلام</small>
٤٥	الباب الحادي عشر.....
٤٥	عيسى <small>عليه السلام</small>
٤٥	الباب الثاني عشر.....
٤٥	الرسول محمد <small>صلوات الله عليه وآله</small>
٥٣	الباب الثالث عشر.....
٥٣	أسئلة عامة
٥٩	التفسير.....
٦١	الفهرس.....

أشعة من عقائد الإسلام

الطبعة الثانية

من آثار المرجع الشهيد محمد الصدر قدس سره

الكتاب الثاني

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الكتاب رفع الشبهات عن الانبياء والشبهات من عقائد الاسلام

المؤلف آية الله العظمى محمد الصدر (قدس سره)

الناشر عبد الكريم جواد الزهيري

المطبعة صدر

الطبعة الثانية

الكمية ١٥٠٠ نسخة

السعر ريال



الكتاب والمؤلف

❦ هذا هو الكتاب الثاني من كتب الشهيد محمد الصدر من سلسلة آثاره التي آلينا على نشرها.
❦ تحليل علمي ممتع على ان العقيدة بالله، وتوحيده منبعثان عن الفطرة الاصلية، وان الفطرة هي التي تهدي الانسان إلى الاعتراف بالله تعالى، وإلى توحيده، وأن الادلة التي تثبت وجود الله تعالى، وتوحيده إنما هي موجّهات للانسان إلى ملاحظة فطرته، ومؤشرات اليها.

❦ فيه موضوعان آخران هما: «بين يدي التجارة الرابعة» و«من أشعة الامام المهدي المنتظر (عج)».

❦ مؤلفه الاستاذ العلامة السيد محمد الصدر نجل سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد صادق الصدر من بيت الصدر الشهير بالعلم والتقوى والزعامة.

❦ ولد سنة (١٣٦٢) هـ بالنجف الاشرف.

❦ نشأ وترعرع بظلّ تربية والده وفي أحضان العلم والعلماء.

❦ دخل (كلية الفقه) وتخرج منها حائزاً على شهادتها في

سنة (١٣٨٢) هـ

❦ له مقالات اسلامية في بعض النشرات والمجلات الاسلامية كـ «الاضواء» و «النجف» النجفيتين، كما ان له كتاب «نظرات اسلامية في اعلان حقوق الانسان» وكتب اخرى لاتزال مخطوطة.

❦ هو اليوم من خيرة الرجال الذين جمعوا بين العلم والعمل، والدراسة والارشاد، وفقه الله تعالى لمرضيه وجعله قدوة واسوة



٢١٩٦٥

السيد محمد محمد الصدر والدة

السيد محمد الصدر عمره الشريف ٢٢ عاماً عندما كتب كتاب من أشعة عقائد الإسلام.

مقدمة الطبعة الاولى

مع القارئ،

إن هذا المجهود المتواضع الذي تراه بين يديك، ليس إلا عبارة عن مقالات اسلامية، تتناول بالبحث بعض الشؤون التي تخص العقائد الرئيسية في الاسلام، وهي مقالات متفرقة كتبت في أزمنة مختلفة، وقد نشر بعضها على صفحات بعض المجلات الاسلامية، وبقي الكثرة منها على الرف في انتظار النور.

حتى كان تفضلت إدارة مكتب «منابع الثقافة الاسلامية» فشرفتني مشكورة بالمطالبة ببعض المواضيع الاسلامية، لتكون حلقة من سلسلتها المجاهدة فكان ان جمعت ما كان قد سنع لي حول بعض عقائد الاسلام، وكان أن وفقت للنور بعد انتظار طويل.

وحيث قسّم سلفنا الصالح، العقائد الاسلامية الرئيسية إلى خمسة اقسام هي «اصول الدين»، والتي تتلخص بالاعتقاد بالتوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد. وعليه فقد صممت شكل هذه الفصول على أساس هذه العقائد. وكانت فصول الكتاب متناولة لثلاثة أشياء، تمسها مسأ رقيقاً وتبحث بعض جوانبها وان لم تكن تتناول كل أصل على سعته وشموله.

حيث تكفل الفصل الأول الإستدلال على وجود الله تعالى وتوحيده، عن طريق الفطرة والعقل السليم، وتكفل الثاني بيان عدة تعاليم ومفاهيم إسلامية، جعلت طريقاً للبرهنة على صلاحية الإسلام لأن يكون منهجاً نحو الكمال الاعلى والسعادة والخلود.

ويمثل هذا الفصل الاصل الثالث من أصول الدين.

وأما الفصل الثالث، فهو يتناول أحد جوانب الاصل الرابع، وهو مفهوم الامامة، يتناوله من اهم جوانبه وأعقدها واولاها بالبحث والاستدلال، وهو

وجود الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، وما يكتنف هذا الموضوع من ملابسات. ذلك الموضوع الذي مازلنا نرى مفكرينا الإسلاميين يحجمون عن الكلام فيه ويخشون خوض غماره، مع انه من أهم قضايا الإسلام وأولها بالاهتمام.

وبعد...

فكلي أمل أن تتوفق هذه الاقباس من عقائد الاسلام، إلى اعطائك صورة صادقة، لبعض جوانب هذا الدين الحنيف على شكل منطقي موضوعي سليم، لاكون قد أديت إلى ديني وإلى المجتمع الاسلامي خدمة متواضعة، ارجو من الله العلي العظيم أن يجعلها قرابة لوجهه الكريم، انه على كل شيء قدير.

منابع الثقافة الاسلامية

الفطرة

وأثرها في العقيدة الإسلامية والتوحيد

قال الإسلام بالعقيدة الالهية، وقال بالتوحيد، وجعلهما العقيدتين الرئيسيتين في دينه. ولكنه في نفس الوقت أكد على أن هاتين العقيدتين ليستا من مخترعاته ومبتكراته، بل انه انما قال بهما على اساس من الفطرة، وانما أوجبهما استجابة لندائها الحثيث.

فهو لم يكلف الناس في هاتين العقيدتين، اكثر مما تضح به نفوسهم وتؤمن به بواطن عقولهم، ولم يأمرهم في سبيل البرهنة عليهما اكثر من الرجوع إلى صميم ضمائرهم وتلمس حقيقة فطرتهم، ليجدوا هناك جذوة الايمان متقدة في الاعماق تنشر دفء الايمان وحرارة اليقين في ربوع النفس.

فالنفوس كلها مطبوعة على الحق ومفطورة على الاعتراف بوجود المبدأ الاعلى عز وعلا والخضوع له، وعلى الايمان بتوحيده. وانما تشوشها، وتبعثر عليها عقائدها وافكارها، تلك الغرائز الحيوانية والمصالح الضيقة التي تسير بالانسان إلى هوة الفساد.

وليس على الانسان في سبيل الرجوع إلى ذلك الحق النابع في أعماقه، إلا: التجرد من الثياب الزائفة، والنظر إلى الحقيقة بعين الانصاف المخلص.

وفي ذلك يقول الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً * فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون^(١). فالدين إذن فطرة. وهي فطرة أودعها الله عز وجل في نفس الانسان لترشده إلى الحق، ولتهديه إلى الصراط المستقيم. وليس لأحد إنكار هذه الفطرة أو المكابرة عليها، فضلاً عن تغييرها أو تبديلها، فانه لا تبديل لخلق الله. إذن فليس على الانسان الطالب للحق الا ان يقيم وجهه للدين حنيفاً، ويستجيب لنداء الفطرة، لكي يهتدي ولكي يرشد، ولكي يصل عن طريق الإسلام إلى كماله المنشود.

ولاشك ان هذا النداء الصادر من أعماق النفس، هو الصق النداءات بالانسان وأبلغها أثراً في نفسه، وان الوصول إلى الحق عن هذا الطريق لهو أيسر الطرق وأسهلها، لذا فقد كان الاعتراف بالإسلام وبعقائده سهلاً يسيراً وموافقاً للبداهة والفطرة وللبرهان العقلي الصحيح.



وهنا قد يثور التساؤل عن الفطرة، ماهي؟ وما محلها من الغرائز الانسانية والملكات النفسية، ومن العقل البشري؟ وما هو مدى تأثير أحدهما بالآخر، وما هو بالضبط ما يمكن للفطرة أن تدركه؟ وما هو أثر العقل والتعاليم الاسلامية في صقل ادراكات الفطرة وبلورتها، هذا ماسوف نحاول الاجابة عليه فيما يلي من البحث، لننظر في النهاية مدى صواب نظر الإسلام في اعتماده على الفطرة في الاستدلال على عقائده الرئيسية.

يمكن أن نقسم الفطرة بلحاظ مدركاتها إلى ثلاثة اقسام، نصطلح عليها بهذه العناوين الثلاثة. فهناك فطرة ذاتية وفطرة كونية، وفطرة عقلية. وهذا التقسيم لايعني التباين والتنافي بين الاقسام، فان الفطرة بحقيقتها واحدة، وهي القضايا التي فطرت النفس أي خلقت على ادراكها تلقائياً، من دون أن

تجد نفسها بحاجة إلى البرهنة عليها بأي شكل من أشكال الاستدلال. أما الفطرة الذاتية، فتشير إلى ما ثبت في محله من الفلسفة الاسلامية، من ان النفس تدرك ذاتها وتدرک علّتها وتدرک معلولاتها. وان هذا الادراك قائم بالنفس ملازم لوجودها لا يمكن ان ينفك عنها ما دامت النفس موجودة، فهي تشعر بذاتها أي بالحصّة الوجودية التي تتصف وتختص بها من دون كل الموجودات وهي تشعر بعّلّتها بلحاظ هذه الحصّة من الوجود التي تتصف بها، فهي تدرك علّتها من خلال هذه الحصّة وعلى مقدارها، ومن ثم فهي لا تدرك علّتها على سعتها وشمولها، وانما تدركها بالقدر الذي يسمح لها وجودها ان تدركه. وهي تدرك معلولاتها، وهي الافعال التي تقوم بها النفس مباشرة كالافكار والخيالات والصور الذهنية، وحركات الجسم ما دامت الحركة موجودة.

وليست معرفة النفس بهذه الامور، إلا معرفة بسيطة ساذجة وادراكا صرفا غير مشعور به ^(١) وهو ما يسمى بالعلم الحضورى في مقابل العلم الحصىلى، وهو العلم المركب المشعور به، وذلك بان يشعر الانسان بأنه يشعر ويعلم بانه يعلم، وهذا القسم الثانى من العلم هو الذى نفهمه عادة من هذا اللفظ، لمدى وضوحه فى النفس، لانه علم مشعور به.

وأما الفطرة الكونية، فهي ما يجده الانسان فى نفسه من الاندفاع إلى التساؤل عن علة كل ما يقع عليه بصره وسمعه وسائر حواسه، وما يعتقده من أن لكل حادث سبباً ولكل ممكن علة، وان من لغو القول، ان تقول بان شيئاً ما خرج من العدم إلى الوجود، هكذا، وبدون أي سبب ولا فاعل، فالانسان عندما واجه هذا الكون ورأى غريب صنعته وبديع شكله ودقيق

قوانينه ونظمه، أخذت هذه الامور بلبه وحيرت عقله، وخضع خضوعاً تلقائياً فطرياً، وآمن ايماناً عميقاً، بان وراء هذه الحوادث الجارية ووراء هذه الاكوان العظيمة خالقاً جباراً قادراً، وعقلاً مدبراً حكيماً، خلق هذا الكون وبسط عليه قدرته واعمل فيه حكمته، فبدا للناظرين بهذه الحلة القشبية .

ووجود هذه الفطرة لدى الانسان أوضح من أن يحتاج إلى برهان، فانه يكفي للاستدلال عليها رجوع الانسان إلى نفسه ونظره إلى باطن ضميره، فانه سوف يجد نفسه خاضعاً لهذه الفطرة، منقاداً لندائها انقياداً تلقائياً، فان من فطرة الانسان مثلاً ان يتساءل عن مصدر الصوت اذا سمعه ولن يحتمل ان هذا الصوت قد ثار من تلقاء نفسه. وان هذه الفطرة لتبدو في الكون بصورة أوضح وأظهر، حيث التنظيم الرائع والجمال البديع والدقة المتناهية، تلك المناظر التي تثير في النفس روعة واعجاباً وتوحي لها بوجود تلك العلة اللانهائية الحكيمة، التي أوجدت هذا الكون، وقامت بهذا التنظيم .

وانا لنرجع بالانسانية إلى عصورها الاولى، فنستعرضها عسراً عسراً، ومجتمعاً مجتمعاً، فلا نجد إلا اقواماً قد أدركوا أن للكون خالقاً وان لهذا التنظيم مدبراً ومنظماً، كل حسب افق تفكيره وسعة مداركه وثقافته، وليس الاحاد إلا نابعاً من جملة اشياء متراكمة من المصالح والغرائز والمسبقات الذهنية والثقافات المادية التي تخرج بالانسان عن طريق فطرته، وتسلك به طريق الضلال والفساد. وحتى أولئك المفكرين الذين تبجحوا بانهم ملحدون وبان قانون العلية لا يقوم على اساس، ومن ثم حاولوا ان يصوغوا من النظريات التي تبرر خلق هذا الكون من العدم، ما يعوض عن هذا القانون القتل. ولكنهم في محاولاتهم هذه لايجاد مثل هذه النظريات، قد اصطدموا، لو كانوا يعلمون، بالقانون نفسه، واضطروا إلى الانصياع إلى ندائه، وإلا فلماذا لم يفترضوا وجود هذا الكون، هكذا وبدون أي سبب وخالق يكون

مبرراً لوجوده، من دون ان يتجشمو صياغة مثل هذه النظريات المختلفة؟
وأما الفطرة العقلية: فهي ما نعينه عندما نقول ان للعقل عدة قضايا معينة لا تحتاج في نظره إلى برهان، بل انه بذاته مجبول على تصديقها والايمان بمحتواها، ومن ثم لا يحتاج إلى التصديق بها إلى أكثر من تصور طرفيها: المحمول والموضوع، وفهمهما فهماً صحيحاً. لانه سوف يرجع تلقائياً إلى فطرته فيجدها موافقة لمضمون القضية مذعنة بمدلولها. ولأجل ما تتصف به هذه القضايا من البدهة والوضوح يجعلها العقل، القضايا الاولى التي يقيم عليها أدلته وبراهينه على سائر القضايا النظرية التي تحتاج إلى برهنة واستدلال. ونحن نرى انه لا بد من وجود مثل هذه القضايا البديهية في العقل ولا لما امكن الوصول إلى التصديق بأي قضية على الاطلاق. فانه اذا كانت كل القضايا مشكوكة الصدق فسوف لن نستطيع الوصول إلى اليقين أبداً، لانه لا بد للبرهان من ان يعتمد على قضايا يقينية أو مسلمة لكي ينتج نتيجته المقصودة، أما اذا كانت كل القضايا مشكوكة، فمن اين تبدأ البرهنة وإلى اين تنتهي، وما الذي سوف يكون الحد الفاصل بصورة قاطعة بين الشك واليقين، هذا الحد الفاصل في نظر العقل، هو هذه القضايا البديهية الفطرية التي يقف عندها الاستدلال ويعتمد عليها البرهان. مثل: لابد لكل ممكن من علة، والنقيضان لا يجتمعان، والكل اكبر من الجزء. والعقل بمجرد أن يدرك معنى الممكن ومعنى العلة فانه يحكم بضرورة العلة بالنسبة إلى الممكن، وبمجرد ان يتصور معنى النقيضين فانه يحكم باستحالة اجتماعهما، وبمجرد ان يتصور معنى الكل والجزء فانه يذعن بان الكل اكبر من الجزء مستمداً اذعانه من فطرته الطبيعية .



بعد هذه المرحلة من البحث، وبعد ان عرفنا ما يجب ان نفهمه عن الفطرة.

ينبغي ان ننظر في صحة تقسيمها إلى هذه الاقسام الثلاثة «أولاً»، ثم إلى مدى تأثير الفطرة باقسامها في الايمان بالعقيدة الالهية وعقيدة التوحيد «ثانياً»، ثم إلى مدى تأثير هذه الاقسام بعضها ببعض، ومدى تأثيرها بالبرهان الصحيح وبما جاء به الإسلام «ثالثاً» .

أما بالنسبة إلى صحة تقسيم الفطرة إلى هذه الاقسام الثلاثة فمن الواضح استقلال القسم الاول، وقيامه بنفسه في مقابل القسمين الآخرين. إلا انه قد يثار الشك حول استقلال القسم الثاني، ومن حيث احتمال اندماجه في القسم الثالث، لان الفطرة الكونية انما نشأت من ادراك الانسان بفطرته العقلية انه لا بد لكل معلول من علة، فهي إذن مندرجة في القسم الاخير، وليست قسماً مستقلاً في نفسه. ولكن يمكن الجواب على ذلك، بان نشأة الفطرة الكونية من قانون العلية العقلي وان كان صحيحاً، إلا انه لا يعني اندماجه في القسم الثالث، فان مظاهر الكون وغرائبه قد أثارت في الانسان الاعجاب والاحساس بالضعف والضعه ومن ثم الاعتراف بوجود الخالق القدير، ومثل هذه العواطف ليست من خصائص العقل، كما ان الفطرة الكونية ليست ادراكاً عقلياً جامداً بعد اتصافها بهذه العواطف، ومن ثم كانت قسماً مستقلاً من الادراك الفطري.

وأما بالنسبة إلى ما يمكن أن تدركه بالضبط، هذه الاقسام الثلاثة للفطرة الانسانية، من العقيدة الالهية، أي الاعتراف بوجود الله تعالى، ومن التوحيد، فاننا يجب ان نعرف أولاً ان الانسان مزيج غريب من العقل والعاطفة، والغريزة والفطرة، وملكات اخرى كثيرة، ولهذه الملكات من التأثير ببعضها البعض الشيء الكثير، بحيث أن ما يقوم به الانسان من الافعال، سواء في دخيلة نفسه كالتفكير، او في الخارج من سائر افعاله أو اقواله، انما هي منبثقة عن هذا المزيج الغريب، لا عن عاطفة معينة بخصوصها وانما قد تنسب فعلاً

او قولاً ما إلى إحدى هذه الملكات، على سبيل التجوز، من باب انها العاطفة الغالبة على هذا الفعل، ومن هنا كان الالتفات إلى ما تدركه الفطرة فقط من دون جميع الملكات ومجرداً عن تأثيراتها، امراً في غاية الصعوبة، إلا انه يمكن القول بان الفطرة اعمق الملكات النفسية واخفاها، وابسطها علماً وادراكاً، وإن وأدراكها ساذج بسيط غير ملتفت اليه، أي انه ليس علماً مركباً من ناحية، وغير معقد يعمد إلى تسطير المقدمات وإلى استنتاج النتائج، من ناحية ثانية.

ولكنها رغم كل ما تتصف به من الخفاء والسذاجة، ألصق من جميع الملكات بتكوين النفس وادخلها بوجودها. ولن يضير الفطرة خفاؤها ولا سذاجتها، لأن الله عز وجل انما خلقها في النفس لكي توحى بمستلزماتها وأوامرها إلى العقل، لكي يقوم العقل، بدوره، بما ينبغي ان يقوم به من ادراك الحق ورفض الباطل، وكأنه يقوم من تلقاء نفسه من دون أي احياء او تأثير. وليس للعقل حاجة إلى الالتفات إلى الفطرة بعد ان يكون قد أطاع وأمرها ونواهيها. بل لعل خفاء الفطرة ابعد على ايمان العقل واطمئنانه، مما اذا كان ملتفتاً إلى مصدر الصوت وعارفاً به، لانه يظن انه يدرك ذلك من تلقاء نفسه. أما ماتدركه الفطرة الذاتية من العقيدة الالهية، فقد سبق أن أشرنا إلى المقدار الذي تدركه النفس من علتها الاولى، ووضحنا كيف أن ذلك مساوق لوجودها ولادراكها لنفسها، وهي انما تدرك علتها بالقدر الذي تسمح به الحصة الوجودية التي تتصف بها، فالنفس اذن تدرك وجود الله عز وجل ادراكاً تلقائياً ذاتياً، كما تدرك نفسها وافعالها، لانها معلولة له عز وعلا، ومن فيض وجوده واحسانه.

أما بالنسبة إلى ادراك الفطرة الذاتية لعقيدة التوحيد، فان لهذا الادراك مرتبة أعمق غموضاً في باطن النفس، بل ان تسميتها ادراكاً لا يخلو من

مسامحة في التعبير، فان النفس، كما سبق، تدرك علتها من خلال حصتها من الوجود، يعني إنها لا تدرك لها علتين. فالفطرة وان لم تكن تدرك بوضوح، ان علتها واحدة، ولكنها في واقع امرها، لا تدرك إلا علة واحدة وهذا هو نوع من الادراك لعقيدة التوحيد، وهذا يعني أن عقيدة التوحيد فطرية ذاتية في نفس الانسان .

وأما ما تدركه الفطرة الكونية من هاتين العقيدتين الرئيسيتين في الاسلام، فقد سبق أن اشرنا إلى وجه ادراكها إلى للعقيدة الالهية، وأن ما في الكون من كمال وجمال ودقة وأحكام في الصنع والتدبير قد أثار عجب الانسان واستغرابه، من ناحية، والاحساس بضعفه وقلة خطره، لانه ليس إلا جزءاً بسيطاً من هذا الكون، وليس هو من اهم أجزائه، لان كثيراً من حوادثه يمكن ان تطيح بحياته، من ناحية اخرى. وعززت فهمه للجمال والكمال اللانهائي المطلق عن طريق انتقاله بقانون تداعي المعاني، من هذا الكمال القاصر إلى ذلك الكمال المطلق، من ناحية ثالثة، وقد ساعدت هذه الادراكات الثلاثة منظمة متعاضدة على ادراك الانسان لعظمة الله عز وجل ووجوب عبادة والخضوع له.

وقد استخدم القرآن هذه الفطرة الكونية للبرهنة على وجود الله عز وعلا. فقد عمد إلى جمال الكون وحسن صنعه، فوضحه وفصل القول فيه، ليزيد من عجب الانسان واعجابه ليقربه عن هذا الطريق إلى ادراك صانع هذا الكون الكبير، وهو بذلك ينقل تلك الفطرة الغامضة العميقة من مرحلة الشعور البسيط الغامض إلى سطح الادراك الواضح والشعور الجلي، فمن ذلك قوله عز من قائل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتَكُمْ وَالْوُأْنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْطِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾

فكل هذه المظاهر الكونية، وهي ما بين ما يعيشها الانسان بنفسه وتجري حوادثها بين سمعه وبصره، وبين ماتجري بعيدة عنه فيعجب منها ولا يعرف كنهها، كل هذه الامور، انما هي بالفطرة، آيات ودلائل على وجود مبدعها ومدبرها.

ومن هنا نرى الاسلام قد دعا إلى التفكير في خلق الله تعالى، وامعان النظر فيما احتواه من جمال وكمال، لكي يستطيع الفرد ان يعيش فطرته خلال هذا التفكير، متى بداله أن يعيشها، ولكي يميز قدرة الله تعالى التي ابدعت هذا الكون العظيم، فقال عز من قائل ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٢)

أما ادراك الفطرة الكونية للتوحيد، فهو، كما سبق ان اشرنا في ادراك الفطرة الذاتية لهذه العقيدة، غامض وعميق، ولكنه في نفس الوقت ثابت راسخ، فان الانسان عندما واجه هذا الكون، وهزّ قلبه وخلب لبه ما فيه من مناظر وحوادث، حكم بان لهذا الكون خالقاً ومدبراً حكيماً، ولم يحكم بأن له أكثر من خالق، ولم يدّر ذلك في خلقه في يوم من الايام، فكأنه يدرك ضمناً، بان مثل هذا النظام الكامل والقوانين الدقيقة لا يمكن ان يتم إلا في يدي إله واحد، لما سوف يحل به من التبعثر والخراب فلو كان محكوماً لالهين، فإنهما سوف يتعارضان بالارادة ويتنافيان في طرق التنظيم. وان بين يدي الانسان

أمثلة كثيرة على ذلك ومنه ما يضربه الناس من مثل قائلين: اذا كثر ملاحوا السفينة فانها سوف تغرق (١)

وقد حاول القرآن التأكيد على هذا المعنى عن طريق نقل هذا الاحساس الفطري الغامض إلى مرحلة الشعور الواضح. فقال عز من قائل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ أَلِلّٰهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتَ بِهِجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلِلّٰهُ مَعَ اللّٰهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلّٰهُ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يَجِئُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلّٰهُ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرَىٰ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلّٰهُ مَعَ اللّٰهِ تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلّٰهُ مَعَ اللّٰهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

فليس من الممكن لكل هذه المخلوقات، ولكل هذه النعم الإلهية ولكل هذه النظم الدقيقة، ان تصدر بالفطرة إلا من إله واحد، يدبر أمرها بحكمته ويدير شؤونها بقدرته. وان من لغو القول ان ننسب خلق ذلك وتدبيره إلى إلهين أو أكثر لانهما حتما سوف يتعارضان ويتخالفان ويحاول احدهما السيطرة على الآخر. قال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهِ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَغْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٣). وأين يكون النظام في ظل هذا الصراع الرهيب العجيب!

١- يقوم هذا المثل على افتراض تخالف ارادة الملاحين، بأن يجدف كل جماعة منهم إلى جهة.

٢- المؤمنون: ٩١.

٣- النمل: ٥٨ - ٦٤.



لا يمكن الاعتراض على دلالة الفطرة الكونية على التوحيد، بما شاع بين بعض الجماعات من البشر من الاعتقاد بتعدد الآلهة. فان هذا الاعتقاد غير ناشئ من الفطرة، كما انه ليس دليلاً على بطلان دلالتها على التوحيد. فان هذا الاعتقاد انما ترعرع في الاوساط المتخلفة البدائية الضيقة التفكير المؤمنة بالخرافات والاساطير، ولا زالت مثل هذه البيئات هي التي تعتنقه وتعتقد به. وانه لبعيد كل البعد عن الافكار الثاقبة والنظر البعيد والرأي السديد.

وأن للاشراك بالله تعالى صوراً متعددة، لكل منها دوافع واسباب مختلفة، وهي ترجع في الغالب، في اصولها العميقة واسبابها الاولى إلى غريزة التوحيد نفسها.

أما عبادة الاصنام والشجر والحيوان، فان كل قبيلة كانت تدرك بفطرتها اله الكون الواحد، وتندفع إلى عبادته اندفاعاً تلقائياً. ولكنها لما كانت لا تتصور، لقلة مدركاتها وضآلة تفكيرها وارتباط معقولاتها بمحسوساتها، امكان عبادة المجرد، فقد جسمته صنماً أو تمثلته متجلباً في بعض الحيوان أو النبات أو الحوادث الطبيعية، وعبدت ذلك رمزاً عن ذلك الإله العظيم. ومن ذلك قول قريش الذي نقله الله تعالى عنهم في كتابه الكريم فقال عز من قائل: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١). وبهذا كان لكل قبيلة اله معبود. ولما توالى الاجيال، واعتاد الناس على الخضوع إلى هذه الالهة المزعومة، نسي المعنى الفطري الذي انشأت بسببه هذه العبادات، واعتقد بتعدد الآلهة. ولعل هناك اسباباً أخرى لنشوء قسم من عبادة المجسمات لا تمت في واقعها بسبب إلى التأليه، وانما هو ان تصنع القبيلة لرئيسها او جدها الاعلى تمثلاً

رمزاً لحبهم واخلاصهم له، وحين يموت هذا الشخص يبدأون بتعظيم تمثاله كرمز لتعظيم ذلك الجد. ثم ينقل على مدى الاجيال هذا الاخلاص الرمزي إلى الاخلاص لهذا التمثال بالخصوص، وينسى انه كان في حين من الاحيان تمثالاً لجدهم الاعلى. ثم يبدأ هذا الاخلاص بالانتقال إلى نوع من التقديس، ثم إلى نوع من العبادة والخضوع، ويبدأون بالاعتقاد بان هذا التمثال ليس إلا تمثالاً لإله الكون الذي يدركونه ويخافونه بفطرتهم.

وأما الاعتقاد بوجود آلهة لكل ظاهرة كونية ولكل معنى من معاني الكمال، كما كان شائعاً في بلاد اليونان القديمة. فهناك بزعمهم، اله للريح واله للمطر واله للأرض واله للبحر، من ناحية، كما ان هناك الهاً للجمال والهاً للحب والهاً للخير، من ناحية اخرى. فلعله ناشئ من اعتقاد هؤلاء البشر، من قصر نظرهم وسوء تفكيرهم، بانه يناسب ان يكون لكل ظاهرة كونية إله مستقل منفرد بادارتها وتديرها، بزعم عدم امكان صدور هذه الظواهر المتعددة جميعاً من اله واحد. وقد كان اعتقاد هؤلاء الناس بالارواح والعفاريت، واعتقادهم ان لها اعمالاً تقوم بها لازعاج البشر ومضايقتهم، الاثر الكبير في تأكيد هذه العقيدة في نفوسهم، ومن ثم نرى أن هناك خطأ كبيراً في أذهان هؤلاء بين تلك الارواح وهؤلاء الآلهة، فليست الآلهة في نظرهم إلا نوعاً من تلك العفاريت والارواح.

أما بالنسبة إلى الاعتقاد بوجود آلهة لكل معنى من معاني الكمال، فقد يكون ذلك ناشئاً من تداعي المعاني، الذي سبق ان أشرنا اليه، من ان الذهن ينتقل في تصور الكمال من هذا الكمال الناقص الذي يراه، إلى تصور الكمال المطلق، ولكنهم انما تصوروا الكمال لكل معنى على حدة. وهذا مشابه لنظرية المثل الافلاطونية التي بزغت في ذلك المحيط نفسه ولعلها تأثرت وأثرت في هذه العقائد، وفحواها ان لكل نوع من الانواع فرداً كاملاً يتصف بجميع ما

يمكن ان يتصف به ذلك النوع من الكمال ويتجرد عن كل ما يمكن ان يلحق بنوعه من النواقص والاسواء يسميه افلاطون بالمثال. ثم ان هناك فرداً اكمل لمجموع هذه المثل بصفاتها نوعاً واحداً، هو المثال المطلق للخير والكمال، وهذا المثال لا يمكن ان يكون واحداً، لان الكمال المطلق لا يمكن أن يتعدد، كما أن مثال كل نوع لا يمكن أن يكون إلا واحداً أيضاً، لان الكمال لكل نوع لا يتعدد. وبهذا نرى افلاطون يصل بنظريته إلى الاعتراف بالله عز وجل وتوحيده، على طريقته الخاصة في حين لم يصل أولئك الرعاع إلى مثل هذا المرتقى الدقيق.

وأما الاعتقاد بوجود إلهين إله للخير وإله للشر، فهو ناشئ من الاعتقاد بتناقض الخير مع الشر، وعدم امكان صدور المتناقضين عن إله واحد. فاستنتجوا من ذلك ضرورة وجود إلهين للكون، يكون أحدهما خالقاً للخير والآخر خالقاً للشر. ونحن بهذا الصدد نراهم قد حكموا بتناقض الخير والشر، وفي هذا اتباع للفطرة العقلية التي تحكم باستحالة اجتماع النقيضين، كما سبق ان اشرنا وحكموا بان للخير الهاً واحداً، كما ان للشر الهاً واحداً ايضاً، وفي هذا اتباع لفطرة التوحيد على شكل مغلوط.

وقد تصدى الفلاسفة المسلمون لحل هذه الأغلوطة، فاوضحوا بان الخير عبارة عن الكمال، وهو عبارة عن الوجود، فالخير والكمال إنما يمثلان القسم الوجودي من هذا الكون. وان الشر عبارة عن النقص، والنقص عبارة عن العدم، عدم الكمال، والعدم ليس امراً وجودياً لكي يخلق. فالله عز وجل خالق للوجود، أي للامور الكمالية، وليست الشرور إلا من اثر عدم خلقه للكمال المطلق. على تفصيل مذكور في محله من الفلسفة الاسلامية.

وأما القول بالثالوث المسيح، فهو ناشئ من تحريف المسيحية عن واقعها النازل من الله عز وجل. ولعل اعتقاد المسيحيين بألوهية المسيح،

ناشئ من استغرابهم من طريقة حمل مريم لابنها، مع عدم امكانهم الاعتقاد بان ذلك ناشئ عن طريق غير شرعي، لانه نبيهم ورئيس عقيدتهم. اذن فلا بد ان يكون ذلك ناشئاً عن طريق الاعجاز، وكأنهم فكروا انه لا يمكن لاحد القيام بالمعجزة إلا اذا كان إلهاً. غافلين عن امكان ذلك لأي بشر مع اقدار الله تعالى له وتوفيقه إياه. وليست هذه العقيدة صادرة من قبل المسيح نفسه، فان عيسى بن مريم على نبينا وآله وعليه السلام، لأجل قدره وابعده نظراً من أن يدعي الالهية في قبال الله عز وجل، وان يأمر أتباعه بعبادته مع عبادة الله تعالى. وإنما كان ذلك بدعة اختلقها المسيحيون ومسخوا بها دينهم بعد ان رفعه الله اليه.

وقد تصدى القرآن لمناقشة هؤلاء الناس في عقيدتهم تلك، مع اثبات كل معاني الشرف والفضيلة، إلى المسيح وامه، فقال عز من قائل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَزُوحُ مِنْهُ﴾^(١). فهو ليس إلهاً بل رسول من الله عزوجل ارسله الله تعالى بشريعة معينة وبالاقرار بوجود الله وتوحيده، ليهدي البشر، ويخرجهم من ظلمات الجهل والظلاله إلى نور العلم والايمان. وقد جعل اسلوب حمله وكلامه في المهد صبيها آيتين من الله عليه بهما، لتأييد صدق بعثته واثمام الحجة على قومه. وقال ايضاً تبارك وتعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(٢). فالمسيح اذن رسول كمن سبقه من الرسل، وامه صديقة لانها امرأة صالحة مقربة من الله عز وجل وقد خصها الله بهذه الكرامة حيث جعلها أمّاً لنبي من انبيائه، وجرى

عليها هذه المعجزة الفريدة، وليس هو وليست امه إلهين لانهما كانا يأكلان الطعام، باعتراف المسيحيين انفسهم، وليس من شأن الإله أن يحتاج إلى الطعام فيأكله وأن يكون محلاً للحوادث والعوارض التي هي من صفات الممكنات ويتنزه عنها مقام الربوبية، انظر كيف يخاطب القرآن الناس على مقدار مداركهم وكيف خص الطعام بالذكر، لانه اقرب الافعال إلى الناس وأدلها على الضعف والحاجة، كما يعلمه الانسان بما سوف يصيبه لو امتنع عن تناوله. وأننا لنرى علماء المسيحيين ومفكرهم قد حاروا، بعد أن عرفوا استحالة وجود أكثر من إله واحد، بالفطرة والدليل العقلي حاروا في اتباع أي من القولين، او في تأويل ثالوثهم المقدس بشكل يرضي الحكم العقلي الفطري. وقد انتشر ذلك إلى مذاهب متكثرة عديدة، ليس في المقام ذكرها كما اننا نرى من ناحية اخرى ان العلماء المُحدثين المختصين بآي فرع من فروع العلم، انما هم علماء موجودون رغم نشأتهم في بيئة مسيحية، فهم يرجعون الظواهر الكونية التي يدرسونها إلى إله حكيم، وهو ايضاً إله واحد، ولا يمكن ان يكون إلا كذلك، وفي الكتاب (الله يتجلى في عصر العلم) وكتاب (العلم يدعو إلى الايمان) اكبر دليل على ذلك. ولا يبقى بعد ذلك إلا حفنة ممن أعماهم الضلال ورائت على عقولهم الشبهات، وأخذ بمجامع قلوبهم التعصب الاعمى، فادعوا الالحاد وتبجحوا به. في حين لم نر مفكراً واحداً ادعى الثنوية أو التثليث، وافتخر بهما على الاطلاق.



وآلان يجب ان ينظر إلى القسم الثالث من الفطرة، وهي الفطرة العقلية، وإلى ما يمكن أن تدركه من العقيدة الالهية والتوحيد، وهي التي سبق ان اشرنا إلى أنها عبارة عن القضايا التي لا يحتاج العقل في تصديقها والايمان بمقتضياتها، إلا إلى ادراك وفهم موضوعها ومحمولها، واشرنا إلى ان العقل

يجعل هذه القضايا، الركيزة الاولى لبراهينه واستدلالاته على ساير القضايا المحتاجة إلى الاستدلال، واشرنا إلى أن من جملة هذه القضايا الاوليات، هي ادراك العقل بان لا بد لكل ممكن من علة، ومن هذه القضية يستنتج العقل الايمان بوجود الخالق عز وعلا، لأن هذا الكون متجدد الحوادث، وكل حادث منه مسبوق بعدم، وكل ما كان كذلك فهو ممكن أي متساوي طرفي الوجود والعدم لا اقتضاء له بذاته إلى احدهما، وما دام هذا الكون ممكناً، فهو محتاج إلى علة طبقاً للقاعدة التي يدركها بفطرته من احتياج كل ممكن إلى علة، اذن فهناك علة خالقة لهذا الكون .

ومن هذا المنطلق يبدأ العقل بالبرهنة على صفات هذه العلة الخالقة للكون، فيثبت عن طريق البرهان، أنها يجب أن تكون واجبة الوجود لذاتها، وأنها يجب أن تكون كاملة من جميع الجهات الكمال، وأنها يجب أن تكون منزهة عن كل النواقص والصفات العدمية الامكانية التي تزري بذلك المقام الرفيع، على تفصيل مذكور في محله من الفلسفة الاسلامية، حتى يصل الإسلام بالخالق العظيم إلى أوج التنزه والكمال.

أما التوحيد فاننا لانحتاج في اثباته إلى البرهنة والاستدلال فانه ايضاً من الامور الفطرية المرتكزة في كيان العقل، فان العقل انما حكم بوجوب وجود العلة بالنسبة إلى الممكن توصلاً لايجاده ولم يحكم بوجوب وجود علتين، ولم يكن له ان يحكم بذلك، للبرهان الفلسفي القائم على استحالة صدور الشيء الواحد من علتين تامتين. ومن ناحية أخرى، يدرك العقل، عطفاً على ماتدركه الفطرة الكونية من عظمة الخالق وكماله، ان الكامل المطلق لا يكون إلا واحداً، لان الكمال المطلق الذي يتصوره ليس إلا واحداً ولا يمكن ان يتعدد.

ولئن كان ادراك الفطرة للتوحيد، هو الدليل الرئيسي عليه، وهو الذي

اعتمده القرآن في الاستدلال عليه، كما سبق ان اشرنا اليه. فان ذلك لا يعني عدم وجود براهين مطوّلة فلسفية وكلامية على هذه العقيدة الرئيسية في الاسلام، فان للفلاسفة والمتكلمين المسلمين طرقا كثيرة إلى اثبات ذلك، ولكن اقرب تلك الادلة إلى الوجدان ما كان منبثقا من فطرة النفس ونابعة من صميم الضمير.



بعد هذه الجولة المفصّلة في البحث عن ماهية الفطرة ومدركاتها يمكننا ان نميز بوضوح تام، مدى صحة وجهة النظر الاسلامية، في ايكال العقائد الرئيسية إلى الفطرة النفسية النابعة من باطن العقل. فان هذا الصوت الداخلي لهو اقرب الاصوات إلى الانسان وادعاها بالاطاعة والامتثال، كما ان الاستجابة اليه هي اقرب الطريق إلى الوصول إلى الحق، إلى الاسلام، فالإسلام لم يدعُ في عقائده الرئيسية إلا إلى ما تدعو اليه الفطرة والجِبلة الانسانية، كما لم يذهب في تفاصيلها إلا إلى ما يدعو اليه البرهان العقلي الصحيح المعتمد على تلك المدركات الاولى.

هدانا الله إلى هداه ووفقنا إلى رضاه، ويسرّ لنا الاصغاء إلى نداء الحق المنبثق من داخل ضمائرنا، لنفوز بصراطه المستقيم فنحضى بالسعادة والخلود.

بين يدي التجارة الرابعة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ
تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

صدق الله العلي العظيم

أي تجارة تلك التي تكلف القليل وتعطي الكثير؟ وكم تكون رابحة هذه التجارة التي يكون الثمن فيها شيئاً صغيراً فانياً، والسلعة فيها امراً عظيماً خالداً؟ وكم يكون سعيداً هذا الانسان الذي يقوم بهذه التجارة، وتتم بيديه هذه المعايضة الرابحة؟ انه يعطي قليلاً ويأخذ كثيراً، يعطي عدماً ويأخذ وجوداً، يعطي ظلاماً ويأخذ نوراً. أنها تجارة رائعة لا يمكن ان تخطيء ابداً، ولا يشوبها احتمال خسارة او نقصان. تجارة تكفل للفرد الشرف والعزة، اثناء دفع الثمن، وبعد قبض السلعة. رغم ذلك، فإنها تجارة، بما للتجارة من معنى. أنها مسألة بيع وشراء، بيع لهذه الدنيا الفانية ولما فيها من زخارف واباطيل، وشراء للسعادة والخلود في الدار الآخرة. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ بَأْنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢).

واي فوز اكبر من هذا البيع الرابع، الذي يكون فيه احد العوضين هو المال، ذلك المال الذي لا بد أن يفنى مهما طال أمده، والنفس، تلك النفس التي لا بد لها ان تموت في طريق الكمال والخلود. ويكون العوض في الآخرة، هو الخلود في السعادة الابدية، وفي الضوء الوهاج السرمدي الاشتعال.

ومن الواضح الوجداني، ان ليس بذل المال والنفس سهلاً ولا يسيراً، انه عقبة شاقة، على المؤمن ان يجتازها لكي يستطيع الوصول إلى مثله الأعلى الخالد. إلا اننا نرى المؤمن سواء في صدر الاسلام، حين كان النبي صلوات الله عليه يقود الجيوش لحرب أهل الضلال، أو في الازمنة التالية، عندما كان يتهدد الإسلام خطر محقق مخوف، نرى المؤمن ينسى عزة نفسه وماله، وينسى حبه لهما وحرصه عليهما، ويندفع إلى حومة الوغى بكل اخلاص وايمان، يندفع عن طيب خاطر واطمئنان ضمير، بل انه ليندفع بحماس بالغ، وقوة دافعة شديدة التأثير.

ان لهذه الظاهرة سرّاً، التفت اليه الاسلام، فصاغ انفس معتنقيه بهذا النحو الفريد. ذلك السر هو ان الفرد المؤمن يشعر بان ألم بذل النفس والمال، ألم وقتي زائل مهما طالّت مدته، وأن وراء خسارته هذه ربها عظيماً خالداً، وانه وان كان يمر بالموت ساعة من الدهر إلا انه سوف يكون هناك من الاحياء الخالدين ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١)

ومن أجل ذلك، يندفع المؤمن إلى التضحية والجهاد، وعلى شفّيته ابتسامة النصر وفي قلبه برد الايمان. وأي شيء غير النصر يمكن ان يراه هذا المؤمن المجاهد، فانه بين امرين كلاهما محبب اليه وجميل لديه، فإما ان

يهزم اعداء الاسلام، وإما ان يفوز بالشهادة، فيصعد إلى مثله الأعلى وكمال المنشود. وإلى ذلك اشار الله عز وجل في كتابه الكريم، قائلًا ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾^(١). النصر أو الشهادة.

من هذا المنطلق بالذات، يمكننا ان نعرف بوضوح تام، مدى الدفع القوي الذي يحدثه الوعد والوعيد الاسلاميين في نفس المسلم، وما هو أثر وصف هذه التجارة بانها تنجي من عذاب أليم، وآنهاتوجب غفران الذنوب ودخول الجنة^(٢)، في رفع معنويات المسلمين واذكاء أوار حماسهم، ودفعهم دفعا شديدا نحو الانصياع إلى تعاليم دينهم الحنيف.

فإن في ذهن الانسان صورة للكمال المطلق الذي لا يشوبه نقص ولا يكدره شر، والانسان يرى بطبيعته الناقصة، ان هذه الصورة جميلة جدا ورائعة جدا، ويرى ان الشخص الذي يعيش في ذلك المحيط الكامل هو في اقصى السعادة وقمة الراحة والاطمئنان. ومن ثم كان الكمال المطلق - بواقعه لا بصورته الذهنية - هو المثل الأعلى لكل انسان، يتجه اليه في كل اعماله وفي جميع حركاته وسكناته، يتجه اليه بطبيعة وجوده وجبلة فطرته. إلا ان السعيد من يستطيع ان يقترب من ذلك الحمى الآمن، فان الاخطاء في هذا الطريق كثيرة والعثرات متعددة، والسقطات موجعة مؤلمة، وكم من انسان تخيل نفسه متجهاً إلى الكمال، فاذا به يدور في حلقة مفرغة، حتى تقطعت انفاسه ومات.

وصورة الكمال المطلق وان كانت موجودة في اذهان البشر، إلا أنها صورة غير واضحة المعالم ولا محددة في كثير من الازهان وغير محرزة

١- التوبة: ٥٢.

٢- يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم.... يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن. ذلك هو الفوز العظيم.

الوصول عند أكثر الناس. وهنا يبدو فضل الإسلام على البشر، ومدى حكمته البالغة في قيادتهم وتوجيههم، فقد عمد إلى الصورة فاوضحها في أذهان معتنقيه إلى أكبر حد ممكن. وافهمهم بالضبط ما هو مثلهم الأعلى الذي ينبغي ان يسيروا نحوه، وان يجعلوه همهم للوصول اليه، كما دلّهم بالضبط، على الوسائل التي تؤدي حتما إلى ذلك الكمال .

فالكمال المطلق هو الله عز وجل، ورضاؤه وقربه هو غاية كل أمل ورجاء كل مرتجٍ، وإلى جنب ذلك فالجنة مثواه. أما اذا عصى وخالف تعاليم دينه القويم، فهناك «مثل أدنى» وضعه الإسلام واوعد به، ذلك هو غضب الله عز وجل والنار، وذلك هو العذاب

الأليم والخسران المبين. وأما الوسائل المؤدية إلى الكمال المنشود، فهو ما حددته الآية باختصار ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(١). وحق للواعد بهذا الكمال والموعود بذلك الخسران، ان يقترح في سبيله ما يشاء وما رأيك بالانسان حين يعين له العمل ويعين له الكمال بحيث يكاد يراه رأي العين، هل يمكن ان لا يندفع ذلك الاندفاع الحماسي في سبيله؟

اذن فهي تجارة، أحد طرفيها الحياة الفانية والمال الزائل، وطرفها الآخر الحياة الباقية الخالدة، التي لا يشوبها نقص او قصور فهل يمكن للمسلم بعد ذلك ان يتوانى أو يقصر؟.

والآية التي نحن بصددھا اذ تحدد المعنى الحقيقي للمثل الأعلى والكمال المنشود تعطي ايضاً الخطوط العريضة للمنهج الموصل إلى الكمال، وهو منهج كله نور واشراق وخير وكمال حتى مع صرف النظر عن كونه منهجا

موصولاً إلى الكمال. ذلك هو الايمان بالله عزوجل وبرسوله رسول الإسلام صلى الله عليه واله، ثم الجهاد في سبيله بالنفس والنفيس. وهذا المنهج في نفسه هو من أعظم الارباح والغنائم فان غاية الانسان ان يصل ببحوثه واستدلالة العلمي إلى الحقيقة تلك الحقيقة التي تشوق لها المفكرون واتعب انفسهم من اجلها المخلصون. وهذه الحقيقة في أكبر صورها وواضح مصاديقها هي وجود الله عز وعلا ومن ثم كان الايمان به وصولاً إلى الحقيقة المطلقة بأدق شكل وأعمقه وبهذا يكون الإسلام دين الله القويم وصراطه المستقيم حقيقة مطلقة ايضاً. لانه من انوار الحقيقة المطلقة وهو المنهج الموصل إلى حمى الحقيقة المطلقة. وليس الجهاد إلا العمل بجد واخلاص وبذل الغالي والرخيص في سبيل الوصول ضمن المنهج الاسلامي إلى ذلك الحق الاعلى والحقيقة المطلقة، إلى الله عز وجل .

وينبغي لنا فيما يلي من البحث، ان نتميز بوضوح معالم المنهج الاسلامي الذي وضعته هذه الآية الكريمة. وما الذي يمكن ان تجنيه البشرية منه، حتى ولو لم يكن طريقاً موصولاً إلى الكمال .

ومما ينبغي أن يلاحظ في المقام ان فوائد هذا المنهج تعود على الفرد وتعود على المجتمع والفائدة التي تعود إلى احدهما يجنيها الآخر ضمناً. فان الفرد مواطن في المجتمع، كما ان المجتمع هو المحيط الذي ينشأ فيه الفرد وتنضج على اساسه عواطفه وعقائده، بهذا نرى ان الإسلام يذهب إلى ان كل ما هو فردي هو اجتماعي ضمناً، وكل ما هو اجتماعي هو فردي ضمناً، سواء في تشريعاته او في الثمرات التي تجنيها البشرية من وراء تلك التشريعات . وبهذا يتخلص الإسلام من الثنائية التي يتصف بها الفكر الحديث، تلك الثنائية التي لا يستطيع الفكر الحديث التخلص منها لانها فكرة رئيسية في تشريعاته ونظمه وذلك، حيث يفرق بين الانسان كفرد والانسان كمواطن

اجتماعي، فيهمل الجانب الفردي ويهتم بتنظيم الجانب الاجتماعي، وقد ترتب على ذلك عدة مفاسد، كان من أهمها اباحة الفكر الحديث لكل عمل يعمله الانسان كفرد مالم يكن مصطدماً بحقوق الآخرين ومنها عدم اقامته وزناً لعمل الخير الفردي، ما لم يعد على المجتمع ببعض الفوائد ومنها عدم اقامته الوزن للنيات الحسنة والسيئة لانها مما لا اتصال لها بالخارج.

في حين أن الإسلام قد حلق فوق هذا المستوى، ونظر إلى كل هذه الامور وغيرها بمنظار المزج بين الشخصية الفردية للانسان والشخصية الاجتماعية له، فتخلص من هذه المفاسد على ما سنرى أنموذجاً منه فيما يلي: فمن فوائد الايمان الفردية، تكوين ضمير اسلامي في نفس الفرد يأمره بالخير ويردعه عن الشر. وهذا الضمير هو الوازع الرئيسي للانسان في جميع اعماله لانه صوت نابع من داخل النفس صاعد من حناياها واضلاعها، وهو صوت تحبه النفس وتصدق به وهو اقرب الاصوات إلى الانسان والصقها به، واشدها اثراً في توجيه سلوكه. وهو اكثر الاصوات ملاحقة للانسان في جميع ظواهر اعماله وخفاياه.

وبهذا الدرع الحصين، الذي يتدرع به افراد المجتمع المسلم ضد الخبائث والرذائل وفي سبيل الخير والصالح، تضمحل الجرائم والاعتداءات ويسود الخير والسلام في ربوع المجتمع.

ومن فوائد الإسلام الفرديه تكوين ضمان قوي في نفس المؤمن يستهين بالغالي والرخيص في سبيل الاتجاه إلى الله تعالى واطاعة أو امره ونواهية، كما سبق ان تحدثنا. وهذا الضمان يكون في نفس الفرد، الاثر الثالث للايمان. وهو عدم اندفاعه، اندفاعاً حماسياً في سبيل جمع المال وبهارج العيش، واقتصراره على ما يسد به حاجته. ومن ثم تقل قيمة المال في نظره، مما هو فائض عن الحاجة، فيسخر به عن طيب نفس للفقراء والمعوزين والمرضى

والمحتاجين، من مواطنيه في المجتمع واخوته في الدين. وبذلك يتخلص المجتمع الاسلامي من ويلات الرأسمالية والاقطاع ويسود في ربوعه الرخاء والرفاه. ومما ينبغي ان يلاحظ بهذا الصدد ان الإسلام لم يحرم من طرق جمع المال إلا أمور معينة نظم بها الحياة الاقتصادية وقد أباح ما وراء ذلك من الطيبات من الرزق ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(١). إلا انه في نفس الوقت صاغ نفسية المسلم بشكل يستغني معه حتى عن الامر المباح فانه ليس كل مباح هو راجح الارتكاب بالنظر الحكمي الدقيق.

وأما فوائد الايمان الاجتماعية، فمنها هذه الوحدة العقائدية الجبارة التي تربط الافراد بعضهم إلى بعض والمجتمعات الاسلامية ببعضها البعض حيث ان جميعهم يفكرون بأسلوب واحد، وينظرون إلى الحياة من زاوية واحدة ويفسرون الأحداث بشكل واحد ويقومون بعمل واحد ويتجهون إلى هدف واحد ومثل أعلى واحد بحيث ان المسلم في زاوية من زوايا الارض يعلم ان المسلم في اقاصي الدنيا يرى ما يراه ونظر إلى الحياة من خلال الزاوية التي ينظر خلالها هو.

وقد بدأت هذه الوحدة بالتفكك والاضمحلال في العصر الحديث، عندما غزت بلاد الإسلام المبادئ الوافدة من وراء الحدود تحمل بين طياتها الشر والدمار، وعندما صار المسلمون وآخر همهم الحديث عن دينهم والتفكير في اسلامهم، ان كان هناك حديث وتفكير.

ومن فوائد الايمان على المجتمع سيادة الاخوة والمحبة والتضامن بين افراده بما تربطهم من وحدة في الدين والشعور أولاً، ولما امر الإسلام من

التراحم والتعاطف بين الافراد ثانياً، فقد حث الإسلام على الاخوة في الله تعالى وعلى صلة الرحم وعلى برّ الفقير واغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج والتعاون على البرّ والتقوى، إلى غير ذلك من الاعمال البناءة التي تبذر في المجتمع المحبة والتعاون وتقضي على البغضاء والخلاف وسوء الظن، ومن ثم تصعد بالمجتمع إلى قمة السعادة والعدل.

ومن فوائد الايمان على المجتمع ايضاً الغاء الفروق الشاسعة بين الطبقات، فان الإسلام لمدى تأكيده على بذل المال ومعونة الفقراء والمحتاجين، ولجعله في نفس الفرد ملكة قوية تقاوم أغراء المال، على ما سبق ان عرفنا، ولحثة على التعاطف والتراحم، فمن مجموع هذه العوامل، بالاضافة إلى شعور الافراد بالاخوة فيما بينهم، وبان المال أهون في نظر الإسلام من ان يكون ميزانا للتفاضل بين الناس.

من كل ذلك تذوب الطبقات، وتضمحل الفوارق الشاسعة فيما بينها وتنشأ الثقة المتبادلة بين الفقراء والاغنياء وبين العمال وأرباب العمل، وبين الفلاحين والمزارعين، ومن هذا المنطلق بالذات، يمكننا ان نعرف نظرة الإسلام إلى المال، فان المال ليس هو ميزان التفاضل بين افراد المجتمع بل الميزان الصحيح للعلو والهبوط، هو هذه القيم الثلاث: التقوى والعلم والجهاد. واخلق بهذه القيم الاخلاقية الروحية أن تسود المجتمع، وان تكون ميزانا للتفاضل بين البشر.

وغاية ما للمال في نظر الإسلام من منزلة، انه وسيلة لا غاية وطريق لاهدافاً. فهو وسيلة للتقوى، بعمل الخير واعانة الفقير والمحتاج، والبذل على الجوانب التي تعود على المجتمع بالخير والرفاه، وتوفر له الحياة الاسلامية الفضلى، والبتالي الحصول على رضا الله تعالى، الذي هو المثل الاعلى للفرد المسلم.

والمال ايضاً وسيلة لطلب العلم والسعي وراء الحقيقة، فان الحقيقة أهل لصرف المال في سبيلها مهما كثر، وان الانسان لينسى متاعه عند الوصول اليها، وعندما يجني ثمارها شهية ناضجة.

وينبغي بكلمة اخيرة، ان نعرف المقصود الاسلامي من الجهاد. وهو كما تشير اليه آلاية: جهاد بالاموال وجهاد بالنفوس. وبهذا نعرف ان مفهوم الجهاد غير مختص بحمل السيف والدفاع عن الإسلام في حرب ضروس، وانما هو الاخلاص والتفاني في سبيل اطاعة تعاليم الإسلام وتطبيقها بامانة واخلاص، سواء بالاموال أو بالنفوس.

فمن الجهاد بالاموال، بذل ائمال في سبيل الله تعالى، ولمعونة الفقراء والمعوزين وقضاء حاجة المحتاجين، ولتكوين مرافق اجتماعيه ومؤسسات اسلامية وغير ذلك من وجوه البر والاحسان. ومن الجهاد بالنفس بالاضافة إلى بذلها في الحرب ضد أعداء الإسلام، صرف القوة البدنية والطاقة الفكرية في سبيل الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وفي سبيل خدمة الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي. كما ان من الجهاد بالنفس ايضاً، الضغط على الاندفاع الغرائزي المقيت، الذي تقوم به الغرائز البشرية عند تجردها عن الوازع الصحيح، والتقيد بها ضمن اطار التعاليم الاسلامية والحدود الدينية.

ومن هنا يمكن ان نرى، منشأ الاهمية العظمى التي وضعها الإسلام على الجهاد، كعنصر هام من عناصره الرئيسية، في قبال التقوى والعلم من ناحية، وبعد الايمان بالله ورسوله، على ما نطقت به الآية، من ناحية اخرى. كما يمكننا بهذا ان نتميز بوضوح الفوائد الكبرى والثمرات العظيمة من سن هذا المفهوم في شريعة الاسلام.

وصدق الله العلي العظيم حين قال، بعد ذكر المنهج الاسلامي المؤدي إلى الكمال، ذلك المنهج الذي عرفنا بعض خطوطه العريضة فيما سبق، قال

تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) وانه لخير وأي خير؟.

ومن مجموع ماضى يتضح وجه ما في الآية من بلاغة واعجاز، فانها حين لخصت المنهج الاسلامي الذي ينبغي للفرد اتباعه في اتجاهه نحو الكمال، حين لخصته بهذين المفهومين: الايمان والجهاد، انما جمعت بهذين المفهومين جميع فرائض الإسلام ووسائله وجميع اصوله وفروعه، فان كل ذلك لا يعدو مفهومي الجهاد والايمان باوسع صورهما وبأشمل مصدايقهما.

من أشعة

الامام المهدي المنتظر عليه السلام

١

كان من جملة موارد اللطف الإلهي بالبشر وتفضله عليهم، ورحمته بهم، ان رأى أنهم بوضعهم الذي هم عليه، من طبائع خاصة، وميول فطرية وحاجات اساسية، لا يمكن ان يبقوا بدون قانون يرشدهم ونظام يدبر أمرهم. فان ميولهم مختلفة واهواءهم متفرقة ومصالحهم متعارضة وغرائزهم شديدة الاندفاع قوية التأثير، مما يسبب الفوضى ووقوع الفساد فيما بينهم، ان لم يكن لهم رادع أو منظم.

كما انه عز وجل، علم ان قوانينهم التي يضعونها بارائهم، وعلى حسب مصالحهم وفي حدود آفاق تفكيرهم، قاصرة عن ان تؤدي التنظيم الكامل الذي يريده لهم وتسعى بهم إلى كمالهم الذي اعد له لاجلهم. فان المصالح والاهواء لا بد ان تتدخل بصورة شعورية أو لا شعورية، في وضع القوانين، كما ان هناك جهات كثيرة ومهمة من المصالح الاجتماعية ومن الوقائع الخارجية التي تحتاج إلى تنظيم وتقنين، لا يمكن ان يحيط بها واضع القانون، ولا ان يتصور لها ضابطا صحيحا، كما ان عز وعلا يرى ان هناك مصالح حقيقته عظيمة موجودة في علمه الازلي لا يمكن ان يدركها العقل البشري مهما اوتي من راحة وقوة تفكير، كالكلمات الروحية السامية من رضاء

الله عز وجل والفوز بالجنة والنجاة من غضبه تعالى ومن النار، وما إلى ذلك مما لا يعرف إلا عن طريق الهداية الالهية.

اذن فكان لابد للبشر من شريعة واردة من المورد الالهي العالم بحقائق البشر والمطلع على واقع مصالحهم وآمالهم وآلامهم والعالم بالطرق الصالحة الصحيحة التي تؤدي بهم إلى السعادة والرفاه، وإلى الفوز والكمال. ومن ثم تفضل الله عز وجل على عباده فبعث اليهم الانبياء مبشرين ومنذرين ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى الهدى، ولينظموا شؤونهم وليدبروا امرهم، كما يريد الله ان ينظموا وان يدبروا.

وقد نزلت بمقتضى ذلك عدة شرائع متتابعة، روعي في كل منها مصلحة البشرية في زمان نزولها. ولوحظ فيها درجة الوعي الذهني والروحي لاولئك البشر.

واذا كانت البشرية تترقى في مراتب الوعي الذهني والروحي وكان يمر على النظام النازل زمان معين ينتهي بعده أمدّه ويفقد صلاحيته لقيادة البشرية وهدايتها، في وعيها الذهني الروحي الجديد. فلا بد لها من شرع جديد .

إلا ان البشرية قد بلغت أوج وعيها الذهني الروحي وغاية ما يمكن ان تصل اليه في هذا المضمار، في القرن الخامس الميلادي فكان ان سقط الدين السابق الذي كان نافذ المفعول بين ظهرائها عن قابلية التوجيه وعن صلاحية قيادة البشرية في وعيها الجديد. فكان ان انزل الله تعالى دينه الخالد وشريعته الباقية، على يد نبيه العظيم صلى الله عليه وآله، كنظام نهائي للبشرية في أرقى مراحل وعيها، وكمنهاج أكمل للسعي بالبشرية نحو الكمال.

وحيث ان البشرية قد وصلت في ذلك العصر إلى غاية ما يمكن وصولها

اليه من الوعي الذهني والروحي، فهي اذن غير قابلة للتكامل والرقى من هذه الناحية أكثر من ذلك، لان الكمال ليس وراءه تمام. ومن ثم تكون شريعة الإسلام أهلاً لقيادة البشرية إلى نهاية المطاف، فتكون شريعته باقية خالدة، ويكون «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة». وكان لابد لهذا الدين الانساني العظيم، الذي شرع للقيام بهذه المهمة الكبيرة، في سبيل تطبيقه على البشر، وضمان تنفيذ تعاليمه وتطبيق قوانينه، كان لابد له من مرشد ومبلغ، وقائد نحوه ومنظم للبشرية على طبقه، لكي يمكن ان تفوز بهذا النظام المثالي العظيم.

فان من عادة الغرائز النفسية والمندفعة والمصالح الشخصية المتعصبة ان لا تتقبل تنظيمها ولا تعترف بقانون، بل ترى من قها الاندفاع في سبيل تحقيق مقتضياتها إلى نهاية الشروط مهما كانت الغاية والوسيلة، ومن ثم كان لا يمكن تطبيق الانظم والقوانين، الا باحد وجهين:

* أما بأثارة حافز عريزي ذو اندفاع اشد واقوى من اندفاع تلك الغرائز، لكي يستطيع ان يقف في وجهها ويكفكف من جماحها، وذلك باثارتها حب الذات ضد ما يراه واضع القانون امرا صالحا ينبغي فعله، وذلك يفرض العقاب عليه. فان من المقتضيات الطبيعية الاولى لحب الذات، هو الخوف من الضرر والفرار من العقاب، مهما أمكن، ومهما كان نوعه. وهذا الوازع هو الذي فرضته القوانين لاطاعة أوامرها ونواهيها، حين الحقت بمواد تشريعاتها قوانين للعقوبات.

* وأما ان يكون بمخاطبة العقل ومواجهته بالنصح والتوجيه، وافهامه بان مصالحه الحقيقية هي ماتقوم على أساس متين وبرهان صحيح، دون المصالح الضيقة والاهداف السيئة، وتنبيهه إلى ان السير في ركاب المصالح الحقيقية خير له واجدى عليه من الانخراط في سلك الاهواء والمصالح

العشوائية الضيقة.

والإسلام قد وفر كلاً من هذين العنصرين من تعاليمه ، على أحسن وجه واتممه. فان العقاب الذي توعده به غليظ وعظيم وقد شفعه أيضاً بالوعد على الثواب، زيادة في اثارة الدافع النفسي وغريزة حب الذات. كما ان المصالح التي يقوم على اساسها الدين الاسلامي، مصالح حقيقيه كاملة، قد عينت من قبل المصدر الالهي اللانهائي، خالق البشر ورازقهم.

فكان لابد للدين الاسلامي، لكي يتم تطبيق منهجه الكامل ولكي تستطيع البشرية ان تجني منه أطيب الثمار، لابد له من قائد منظم، ومرشد موجه، يستطيع ان يخرج البشرية بالإسلام من الظلمات إلى النور ويهديها إلى الصراط المستقيم.

وقد تولى ذلك نبداً الامر، الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، بنفسه، فكان مُبلغاً للدين ومرشد للناس وقائداً للبشرية ومنظماً لشؤونها، ومطبقاً للدين الذي جاء به. وما ان انتهى دورة في الحياة حتى كان قد غرس في العالم هذه الشجرة العظيمة التي تؤتي اكلها كل حين باذن ربها.

إلا انه كان لابد لهذا الدين الخالد، من قائد خالد، او من سلسله من الناس يقومون بهذه المهمة الكبيرة، حتى لاتضيع نظمه، وتدرس معالمه، وتنفتحي المصلحه الكبرى الذي جاء من اجلها هذا الدين، وهي قيادة البشرية إلى شواطئ العدل والكمال. إلا ان الدين الاسلامي مُني منذ ايامه بنفوس سقيمة ومصالح منحرفة ووجهات نظر فاسدة ، افسدت عليه أمره من داخله وخارجه. فكتن عليه ان يحبو وثيذا متعثرا يقوم نرة ويسقط مراراً، وكان على قادة ورجاله الذين جعلهم الله امناؤه في ارضه وحججه على عباده، واناط بهم تطبيق الدين الاسلامي الخالد، كان عليهم ان يعتكفوا في دورهم بمعزل من الحياة والفكرية والاجتماعية والسياسية، لايجدون مجالا للحركة

والكلام إلا نادرا.

ومن ثمَّ فقد مشى الإسلام يجد نفسه بنفسه، ويجري في اذهان البشر بحسب طاقته الذاتية للتوسع والانتشار من دون ان يجد ناصراً او معيناً، ما عدا النزر القليل، بل ومن دون ان يخلو جوه من شن الحرب عليه، ومناقضة تعاليمه والخروج على مقتضيات تشريعه.

إلا ان الارادة الالهية، لا يمكن ان تهمل هذا الدين إلى الابد، فانها هي: التي ارسلته وهي التي وضعت دستوراً للبشر، نظاماً لحياتهم، فهل من الحكمة تدعه مهملاً وان تترك تأييده والدفاع عنه، وان لا يقدر للبشرية بعد صدر الإسلام ان تطبق فيها الشريعة الاسلامية كما يريد الله ان تطبق، وكما انزلها على رسوله صلى الله عليه وآله؟.

كلا، والف كلا. ما هكذا ارادت المشيأة الالهية، وانما دبرت لذلك أمره وأسست أساسه. فقد ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلَهُمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

وهذه الآية نص في الوعد القاطع من الله عز وجل للمخلصين المؤمنين، بتطبيق الدين الاسلامي بوجهه المشرق المضيء في نوع البشرية في يوم من الايام. ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢). وكان لابد، أن يتم تطبيق الدين الاسلامي، ذلك النظام الالهي الشامل، على يد مخلصه أمينه، ومحركة مفكرة، تتوفر فيهما المعرفة التامة بالتشريع وخفاياه واسرارها، وباساليب تطبيق هذا التشريع على البشر، وأحسن

الطرق وأفضلها في الوصول إلى ذلك. وتتوفر فيها العصمة عن الخطأ والزلل، لكي لا تخيس بوعداها او تخرج من مقتضيات دينها، في يوم من الايام.

فان الزعامه والقيادة، تحتاج إلى نفس رشيدة كاملة، ولايمكن ان تصلح لها النفوس الناقضة الضعيفة. فان الزعامه تطلق كثيرًا من الغرائز والشهوات من عقالها، كحب السيطرة والطمع بالمال والتلذذ بالحكم التعسفي، حيث يكون الفر حراً في ان يعمل مايشاء. ولايقف في وجهه ويحد من غلوائه إلا أحد أمرين: أما القوانين التي تفرض على الرئيس من قبل سلطة أعلى منه، فتجبرة على الوقوف عند حد العدل والانصاف. وأما صفاء نفس الرئيس وطهارة قلبه وعصمته من الخطأ والزلل، ولئن كان القانون ممكن العصيان اذا كان الرئيس سييء النفس خبيث السريرة فان طهارة النفس والعصمة هي الاساس الاولي الرئيسي لضمان حسن القيادة في الرئيس.

وبالتلخيص، لابد ان يوكل تطبيق هذا الدين إلى رجل قائد يوازي في عبقريته وميزانه النفسي والعقلي، قواد الإسلام والاولاثل الذين بزغ على يديهم الإسلام وانتشر إلى مشارق الارض ومغاربها. ويكون في صفاته كأولئك الذين نصبهم الله تعالى خلفاء لنبيه الكريم ليتموا من بعده نشر دينه وارساء قواعد رسالته. ولنا ان نتساءل الآن، ان كيف يمكننا ان نحصل على شخص كهذا، لكي يتولى مركز القيادة الاسلامية. والجواب طبيعي وبديهي، وهو يمكن الحصول على مثل هذا الشخص بالطريقة التي حصلنا فيها على اولئك الاشخاص، وعلى نفس الوتيرة والاسلوب، لكي نستطيع ان نجني نفس النتائج الكبرى التي جنيناها من اولئك الرجال .

وعليه، لابد ان نتساءل ثانياً، عن الطريقة التي حصل بها على اولئك القواد

الاولاثل عليهم الصلاة والسلام؟

والجواب عن هذا السؤال ايضاً جاهز وواضح، فان تكون مثل هذه الشخصية العظيمة يحتاج إلى توفر عنصرين: عنصر ذاتي داخلي، هو الاستعداد الطبيعي لنيل هذه المرتبة الكبيرة والكمال من حيث جميع الطاقات والامكانيات النفسية والعقيلة للتأهل للقيادة العامة. وهذه مرتبة جلية يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده. وقد انحضر توفرها بصورتها الكاملة، بعد النبي صلوات الله عليه وآله في الائمة الاثني عشر من بعده عليهم الصلاة والسلام، ومن ثم نصبهم الله تعالى خلفاء في ارضه وامنا على وحيه.

والعنصر الثاني المؤثر في هذا المجال، هو التربية، فاننا لا يمكن ان نحصل على هذا القائد العظيم، إلا اذا كان قد رُبِّي بين يدي قائد عظيم مثله، يعطيه خبرته ويعلمه علمه، ويرشده إلى خفايا الامور التي يتفرد بمعرفتها فيقبلها صاحبنا بما أعطي من قابلية نفسية على تلقي مثل هذه الامور.

وهذا الامر واضح وجداني، فان الفرد منا مهما كان عظيماً والمجتمع مهما كان متحضراً ومثقفاً، لا يستطيع ان ينتج مثل هذا القائد العظيم. فان التربية بدون القابلية غير ذات جدوى، كما ان القابلية دون التربية المناسبة غير مفيدة، والمجتمع مهما أوتي من طاقة فكرية ونفسية وعقلية، فانه يطفئ فيه بصورة شعورية أو لا شعورية، الطبع البشري الناقص ولا يستطيع التربية المناسبة لقابلية هذا القائد العظيم، وانما الذي يمكنه توفير مثل هذه التربية، هو قائد مثله عارف بخفايا الامور وطرق التدبير، وبما ينبغي انه يعلمه وان يقول له.

وبهذا القانون نفسه، أصبح أمير المؤمنين أبو الائمة الهداة عليه الصلاة والسلام، أفضل البشر بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله، وكان اول من صدقه وآمن به، حين دعا عشيرته الاقربين فقال لهم: «ما أعلم انساناً في العرب جاء قومه بافضل مما جئتمكم به. قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي ان

ادعوكم اليه. فايكم يؤازرنى على هذا الامر وان يكون اخي ووصيى وخليفتي فيكم؟ فاعرضوا عنه وهموا بتركه، لكن عليا نهض - وما زال صبيهاً دون الحلم - وقال: أنا يارسول الله عونك، أنا حرب على من حاربت (١).

وما ذلك إلا لان أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، ربي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، ونشأ في محيط رعايته وتحت نور عنايته، وذلك لان ابا طالب كان كثير العيال، فقال محمد صلى الله عليه وآله لعمه العباس، وكان اكثر هاشم يساراً، ان اخاك ابا طالب كثير العيال، وقد اصاب الناس ماترى من هذه الازمة، فانطلق بنا فلنخفف عن عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه. وكفل العباس جعفر وكفل محمد صلى الله عليه وآله عليا، فلم يزل معه، حتى بعثه الله تعالى (٢) وبهذا نرى وجه الحكمة الالهية التي دبرت كفالة النبي صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين صلى الله عليه وآله وتربيته، ليكون أميراً للمؤمنين وأباً للائمة الهداة المعصومين، ونبراساً خالداً يضيء للبشرية طريق الكمال. ونعرف ايضاً على نفس الاساس، وجه الحكمة الالهية في جعل الامامه وراثيه بعد الامام الحسين الشهيد عليه الصلاة والسلام، فانه من المعلوم ان الادب اقرب شخص إلى الانسان والصقهم به، واكثرهم معاشرة له وأقدرهم على تربية ولده على الشكل الذي يريده (٣). فكم تكون النتائج كثيرة وعظيمة اذا كان الابن مزوداً بالقابلة الذاتية على القيادة، وكان الاب قائداً فعلياً محنكاً، عارفاً بكيفية تربيته ولده، لكي تولى بدوره مركز القيادة في يوم من الايام، خلفاً عنه.

١- حياة محمد، محمد حسنين هيكل ص ١٠٤ طبعة سنة ١٣٥٤.

٢- نفس المصدر ص ١٠٣.

٣- اذن نعرف ان التوارث بين أئمتنا عليهم الصلاة والسلام ليس غايه في نفسه، وانما هو وسيلة اقتضتها الحكمة الالهية، لكي يتربى الابن قائداً فذاً عبقرياً بين يدي والده العظيم.

اذن نعرف ان الشخص الذي نريد الحصول عليه، لكي ينفذ وعد الله القاطع، ويقوم بتطبيق دين الله القويم، ينبغي ان يكون حاصلًا على هذه الصفات، وليس ذلك إلا الامام المهدي الحجة المنتظر عجل الله فرجه. وذلك لانه الابن الوحيد لآخر قائد اسلامي معصوم.

ومن ثم فقد ولد الامام المهدي عجل الله فرجه، لكي يتولى زمام القيادة الاسلامية، ولكي يتحمل مسؤولية تطبيق الشريعة الالهية بعد آباءه عليهم افضل الصلاة والسلام.

إلا ان قوى الطغيان والنفاق، قد تولته بالمطاردة والارهاب منذ اول ايامه، لعلمها انه هو الذي سوف يمثل المعارضه القويه ضد الدولة القائمة، كما قد مثلها آباؤه الكرام عليهم الصلاة والسلام .

والذي يبدو واضحًا من الحكمة الالهية، ان قيام هذا القائد العظيم، بالسيف، في ذلك الحين، لم يكن امراً ممكناً، على الاطلاق، بل لم يكن من المصلحة في شيء، فانه حتما سيؤدي إلى القضاء على آخر عتصر من عناصر الخير والنور الموجودة على هذه الارض، لمدى قوة النفاق وطغيانه. وان التحفظ على البقية القليلة الباقية من الصالحين، لكي ينتجوا اولادا صالحين ولكي ينفعوا المجتمع باقوالهم واعمالهم، خير الف مرة من حركة عشوائية طائشة تثير حقد قوى الطغيان، فتقضي عليهم أجمعين كما انه يبدو أيضاً من الواضح من الحكمة الالهية، أنه رأيت انه ليس من المجدي شيئاً تسلسل القواد الخاملين المظلومين إلى أكثر من هذا المقدار. فان من وظيفة القائد ان يمتلك زمام القيادة وان يتولى توجيه المجتمع وادارته. وحيث انه تعالى يعلم ان ذلك لن يتوفر للائمة عليهم الصلاة والسلام، إلى أمد معلوم، اذن فلا بد من انتهاء هذه السلسلة، والاكتفاء بالائمة الاثني عشر عليهم السلام.

ومن ثم كان الامام الثاني عشر الحجة المهدي عجل الله فرجه آخر الائمة

المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

وعليه فلا بدّ من التحفظ على هذا القائد الأخير، لكي ينفذ على يديه وعد الله عز وجل الذي قطعه لعباده المؤمنين، ولكي يطبق القانون الاسلامي الخالد، فان التوحيد المتبقي ممن يحمل الاهلية التامة للقيادة والامامة. اما اذا قُضيَ عليه من قبل القوى المطاردة له، فسوف لن يمكن الحصول على شخص آخر مثله. وذلك لما سبق ان ذكرناه، من وجوب توفر القابلية النفسية والتربية المناسبة للقائد الصحيح، والقابلية وان كانت مما يمكن ان يهبها الله تعالى ان يشاء من عباده إلا أن التربية لا يمكن أن تحصل إلا من قبل القائد المربي، فان التوجيه الإلهي المباشر كالوحي والالهام، يمكن ان يقوم بهذه المهمة إلا ان الشخص الذي يرى نثل هذا التوجيه يكون نبيا، ولا نبي بعد رسول الإسلام صلى الله عليه وآله.

اذن فالشخص الوحيد الذي بين يدي قائد عظيم معصوم، هو امامنا الحجة المنتظر، اذن فلا بد من التحفظ عليه، لكي يتمّ على يديه تنفيذ وعد الله عز وجل.

واذا لم يمكن ان يتم تنفيذ وعد الله تعالى، في ذلك الزمان كان لابد من تأجيله إلى الوقت الذي تراه الحكمة الالهية صالحاً ومناسباً تماماً لذلك. وعليه، فقد أعملت الإرادة الإلهية قدرتها اللانهاية وغيبته عن الانظار تحفظاً عليه من أيدي السوء والشر من ذوي المصالح الفاسدة والنفوس المنحرفة، واختفظت به، ليكون القائد الاسلامي المنتصر في يومها الموعود .

وان في غيبته هذه عليه الصلاة والسلام، لحكمة الهية كبيرة، وغرض الهي سام، ولذا وُصِفَتْ في الخبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنها ﴿من مكنون سرِّ الله، ومخزون علم الله﴾ .

فانه يكفي فيها، بالاضافة ما أسلفناه من حجبه عن اعين السوء والاحتفاظ به لليوم الموعود، يكفي فيها ان يكون الحجة عليه الصلاة والسلام، أملاً للمؤمنين في خلاص هذا العالم البشري من عنصر الشيطان، ولسيادة العدل والرفاه فيه، وانتهاء العهود الذي كان فيها حقهم مغدورا وامامهم غائباً، ودينهم بعيد عن المسرح السياسي والاجتماعي والثقافي. ويكفي فيها، ان يكون الامام عَجَلَّ الله فرجه، سنداً لقلوب المؤمنين، وركيزه لايمانهم، يشعرون بوجوده بينهم وعلمه باعمالهم واقوالهم، وسروره بعباداتهم. وبخدماتهم الدينية والاجتماعية، وغضبه من قبائحهم وآثامهم. وبالجملة: يشعرون بانه قائدهم وموجههم ومرشدهم، وهو بينهم، وان كان غائباً عن ابصارهم.

ويكفي في الغيبة فائدة ايضاً، ان تكون امتحاناً الهياً لاختلاص الناس وتجربة مقدار ايمانهم بعقيدتهم واطمئنانهم بالدين وتعالينهم: فان الله تعالى لابد ان يميز الخبيث من الطيب والمخلص من المشكك، فانه عز وجل عندما انزل على البشر ديناً يهديهم به وقانوناً ينظم شؤونهم على ضوئه، واقام عليهم الحجة فيه، لم يدعهم هملاً، يعتنقونه إن شاؤوا ويرفضونه ان ارادوا ويهملون واجباته وتعاليمه ان رغبوا تسري العقيدة فيهم سريان النار في

الهيثم، من دون ضابط معين او ميزان محدود.

وانما اراد مخض السقاء وايضاح الفاسد من المؤمن والصالح من الطالح، فوضع البشر حيال حوادث معينة تتصنف بصبغة خاصة، يحتاج التصديق بها ايمان قوي وعقيدة راسخة، تلك النقيدة هي التي يريدها الله تعالى لعباده، وهي التي يستحق حامها الجزاء باوفر الثواب والفوز برضاء الله عز وعلا. وهذا الامتحان تدبير الهي دائم، فهو غير مختص بالشرعية الاسلامية، وانما يعم كثيراً من الشرائع السابقة، ولعلنا نستطيع ان نقتبس من القرآن بعض الامثل على ذلك:

فمنها الطوفان التي توعده به نوح عليه السلام قومه، ومن ثم عكف على صنع السفينة لكي ينجو منها هو ومن اتبعه. إلا انه حين طال الامد وتأخر الطوفان، فانه لم يكن صنع السفينة فيه تلك الازمنة السحيقة في القدم سهلاً ولا يسيراً، بل كان يحتاج إلى عدد من السنين لانجازه، ولم يكن الطوفان ليأتي قبل ان يتم صنعها. عندئذ صحك من الكفار، وشك به كثير من المؤمنين ولم يبق لدية إلا الصفوة المختارة، ممن امتحن الله قلوبهم للايمان فركبوا معه فنجوا، واغرق الله الآخرين.

ومن أمثلة ذلك في القرآن أيضاً ما حدث في الجيش الذي كان يقوده طالوت لقتال جالوت، حيث مروا على نهر، فقال لهم طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي، إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ عُزْفَةً بِيَدِهِ﴾^(١). ولما كان كل واحد منهم منهوك القوى عاطش الفوائد فقد مالوا على النهر ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾^(٢) ممن قويت عقيدته واخلص لدينه، وبهذه الصفوة الخالصة استطاع طالوت ان ينتصر

على جالوت، وان يهزمه.

بل ان هذا الامتحان الالهي غير مختص بزمان دون زمان، وانما هو موجود دائما ونافذ المفعول على جميع البشر فردا فردا، فانه حيث يكون الدين موجودا والاوامر الالهية قائمة يكون إلى جانبها مغريات المادة وبهارج العيش، من السلطة والمال والتهالك على اللذة، واذا يكون المرء عاقلا مختارا، فعليه ان يختار أحد هذين الطريقتين، اما اللذة المؤقتة واما النعيم الخالد، فهو الذي يقرر مصيره بيديه في هذا الامتحان الرهيب. فاما النجاح واما الرسوب، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.

اذن نعرف ان غيبة الامام المنتظر عجل الله فرجه، من هذا القبيل، فهي امتحان للقلوب المؤمنة وفضح للنيات السئة، وامتحان الهي رهيب. وفي ذلك يقول أبو عبد الله الصادق عليه الصلاة والسلام للراوي: «يا منصور، هذا الامر - ويعني به ظهور القائم عجل الله فرجه - لا يأتيكم إلا بعد يأس، ولا والله حتى تميزوا، ولا والله حتى تمحصوا، ولا والله حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد»^(١).

وقد تنبأت الأخبار الواردة عن أئمة الهدى، عليهم افضل الصلاة والسلام، انه في زمان الغيبة، يكثر الفساد وتشيع الحيرة والظلال ولا يثبت على دينه إلا من امتحن الله قلبه للايمان. فمن ذلك ماورد عن الامام الحسين عليه الصلاة والسلام، من ان عجل الله فرجه لا يظر إلا «بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين اخذ الله ميثاقهم ولايتنا، وكتب في قلوبهم الايمان، وايدهم بروح منه»^(٢)

وهذه التنبؤات من قبل أئمة الهدى عليهم السلام، وان كانت يمكن ان توصف بانها

١-الكافي، باب التمهيص والامتحان. نسخة خطية.

٢- كشف الغمة ص ٣١١ ج ٢ .

علم بالغيب، باحدى درجاته، إلا إنه أقرب للفراسة الصادقة والحدس الصائب الصادر من شخص عارف بمزايا الامور وطريقة تطور حوادث الزمان. فإنهم عليهم السلام كانوا يرون حال الإسلام في أزمنتهم وكيف مُني بحكام الجور المارقين عن تعاليمه المتصرفين على حسب مصالحهم واهوائهم، وكانوا يرون مدى التأثير السيء لهؤلاء الحكام في المجتمع الاسلامي وفي التأثير على نفوس المسلمين وفي ابعاد الإسلام عن المسرح السياسي والاجتماعي، وعزله عن الركب البشري السائر. اذن ماذا ينبغي ان يكون عليه السلام بعد خمسة أو الف أو أكثر من السنين؟ انه حتما سوف يزداد وهنا وضعفا، وسيقل اصحابه ويقل أعداؤه، وتعمل المكائد والمؤامرات السوداء علمها ضده.

إلا ان عنصر علم الغيب يبدو واضحا خليا، عندما تبدأ احاديث أئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام، بذكر حوادث معينة تقع في عصر الغيبة. وكثير من هذه الحوادث قد حدث بالفعل بين سمعنا وبصرنا وفي مجتمعاتنا، مما يثبت على التأكد من حدوث الامور الاخرى الموعودة في الاخبار الموثوقة المعتمدة. فمن ذلك ما يقوله الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام، حين يسأله الراوي: يا بن رسول الله، ومتى يخرج قائمكم؟ قال: اذا تشبه الرجال النساء والنساء بالرجال واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء. وركب ذات الفروج السروج وقُبِلت شهادة الزور ورُدّت شهادة العدول، واستخفّ الناس بالرياء

يمكن ان نفهم من السروج، كل مركوب يركبه الرجل ولايليق بالمرأة، وكان ذلك منحصرا بالخيل عندئذ، إلا اننا نراه الآن يشمل الدراجة الهوائية والدراجة البخارية، وسياسة السيارة إلى غير ذلك من الميادين التي عزتها المرأة وزاحت الرجل فيها. وهذا هو الذي يسكن ان نفهمه أيضاً من تشبه النساء بالرجال، بالاضافة إلى تقليدهن الرجال بالزي والعمل والحقوق. كما يمكن أن نفهم من تشبه الرجال بالنساء كثرة عنايتهم بجمالهم وهندامهم وغير ذلك مما هو أليق بالمرأة منه بالرجال. وعلى هذا الضوء يمكن أن نفهم التنبؤات الاخرى.

وارتكاب الزنا وأكل الربا، وأتقي الأشرارُ مخافة ألسنتهم (١).

أما المؤمنون المخلصون فسوف يقل عددهم، وسوف يضطهدون ويحاربون، وفي ذلك يقول خذيفة رضوان الله تعالى عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويح هذه الامة ملوك جبابرة، كيف يقتلون ويخيفون المطيعين، إلا من أظهم طاعتهم. فالمؤمن التقي يصانعه بلسانه، ويفر منهم بقلبه» (٢).

إلا ان هؤلاء سوف تعز في قلوبهم عقيدتهم ويرسخ ايمانهم ويمتحن اخلاصهم، لهذا فقد أثنى عليهم في الاخبار، فمن ذلك ماورد عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام، انه قال: طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا، في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبرائة من اعدائنا. اولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة. فطوبى لهم ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة (٣).

ويبقى هؤلاء المؤمنون في زمان الغيبة، بانتظار اليوم الموعود، حين ترى الحكمة الالهية، ان الوقت المناسب قد حان لتنفيذ الوعد الالهي، فتأذن للامام المنتظر عجل الله فرجه، بالظهور، لكي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويطول بالمؤمنين الانتظار، فما هذا اليوم بمحدود ولا معلوم الا في علم الله عز وجل. ومن ثم يتمتمون خاشعين، بقلوب يعمرها الايمان بالله والثقة بوعدده.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تَعُزُّ بِهَا الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ وَتَذُلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلُهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ،

٢- كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٢ .

١- كشف الغمة ص ٣٢٤ ج ٣ .

٣- نفس المصدر ص ٣١٤ .

وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (١).



ومما ينبغي التنبيه عليه، انه ليس معنى انتظار الامام المهدي عجل الله فرجه، الاكتفاء بمجرد الانتظار، والاستسلام السلبي اليه. فما بهذا أمر الاسلام، ولا هكذا أرد منا أئمتنا عليهم الصلاة والسلام، حين أمرونا بموالاته، وانتظاره، ولا كانت هذه هي الحكمة الكبرى التي غاب من أجلها. ان على المؤمنين المخلصين أن يعملوا في سبيل الله تعالى، وان يدعوا إلى دينه الحنيف، بمقدار جهدهم وطاقتهم، ولا يختلف الحال في ذلك في زمان الغيبة والحضور. فان أوامر الإسلام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبمحاربة الضلال وبتطبيق نظام الإسلام لازالت نافذة المفعول، لمن يؤمن بها ويريد ان يطيعها.

كما ان وعد الله عز وجل للعاملين في سبيله والمجاهدين لنصرة دينه، بالجزاء الاوفر، موجود دائماً ولا يختص بزمان دون زمان.

بل ينبغي ان يفكر المؤمنون ويمعنوا النظر، ليروا انهم انما ينتظرون امامهم عجل الله فرجه، لاجل تطبيق دينهم وتنفيذ أوامر ربهم والقضاء على أعدائه والحاquدين عليه. فاذا كان ذلك هو الهدف السامي للامام المنتظر في غيبته وعند حضوره، فلماذا لا يكون هو هدفهم في حياتهم ومثلهم الاعلى الذي يستهدفونه ويسعون اليه بقلوبهم واعمالهم واقوالهم؟ يعملون في سبيله ما وسعهم العمل، وجهد الطاقة والمستطاع .

بل اننا يمكننا ان نرى ان الاخلاص إلى الكسل والتواكل، وأن عدم الشعور بالمسؤولية والسلبية ازاء الاحداث، شطط عظيم وخطأ كبير، له الاثر السيء

العميق على الإسلام وعلى المسلمين وعلى المجتمع الاسلامي. فاننا قد لمسنا هذا الخطر بأيدينا ورأيناه بأعيننا، بعد ان غزانا الكفر في عقر دارنا، ووفدت علينا المبادئ من وراء حدودنا وسدت علينا منافذ تفكيرنا. فان ذلك لم يكن ليوجد لولا تخاذل المسلمين. وتواكلهم وسلبيتهم ازاء الاحداث التي تدور حولهم وتعصف بكيانهم، وعدم الشعور بالمسؤولية ازاء نصرة الدين الحنيف، والجهاد في سبيل النظام الالهي الخالد.

نعم، ان الذي ينبغي لنا ان ننتظره وان ندعوا الله بتعجيله، هو تنفيذ الوعد الالهي العظيم، وظهور الامام الحجة القائم عجل الله فرجه، ليملا الأرض قسطاً كما ملئت جوراً. ويطبق الدين الاسلامي الحنيف بوجهه الوضاء المنير (ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وآله)^(١). ويكون قائدا للبشرية كلها. (ويبلغه الله تعالى شرق الارض وغربها، حتى لا يبقى منهى ولا موضع سهل أو جبل وطأه ذو القرنين إلا وطأه ويملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)^(٢).

وبالطبع فان هذا شيء يستحق الانتظار، فانه لن يكون إلا عند ظهور الامام الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه .

وعند ظهوره عجل الله فرجه، يبدأ فوراً بتطهير العالم من الكفر والرجس والضلال، ويسعى حثيثاً إلى تطبيق القانون الاسلامي الخالد. وتكون العناية الالهية حليفته في صراعه مع قوى الكفر والطغيان، فينتصر نصراً عظيماً ويفتح مشارق الارض ومغاربها، وينصره الله بالرعب، بأن يكون مرهوب الجانب قوي الركن تخافه الدول وتخضع له، عندما يملأ عليها كيائها الرعب والفرع من احتمال هجومه عليها مفتحه لارضيتها .

والسر العميق الكامن في هذا النصر العظيم الذي يحزه عجل الله فرجه، إلى جانب العناية الالهية وإلى جانب حنكته وخبرته وصواب تدبيره، هو انه عليه الصلاة والسلام يصوغ نفوس تابعيه بالصياغة الاسلامية، ويصهرهم في بوتقة الدين الحنيف، ويبذر فيهم حب التضحية والجهاد في سبيل اعلاء كلمة الحق والتفاني في سبيل الله عز وجل.

فيمثل هذا الجيش المتحمس المندفع، يفتح الامام المهدي العالم، ويذل الجبابرة ويخضع قوى الكفر والطغيان .

وان مثل هذا الجيش لضروري له الحصول على مثل هذا النصر العظيم، اذ ان كل فرد منهم يشعر بالمسؤولية ويعلم انه ذاهب في سبيل هدف سام عظيم وانه مسؤول عن نصرته ومجزى بأوفر الثواب لقاء الموت في سبيله. ولا يمكن ان ينال مثل هذا النصر بحال من الاحوال بواسطة هذه الجويش المتحللة، التي لا تعرف لحياتها هدفاً، ولا لأعمالها غاية، وانما تقاد قود القطيع لتنفيذ فكرة لمعت في نفس القائد أو الحاكم المسيطر لا يعرف الجيش مغزاها ولا مراميها، فيذهب ليقاتل من لا يعرفه لسبب لا يعرفه. فلذلك فهي

تفقد العنصر الاساسي الضروري للفتح الفعال والنصر الاكيد وهو الحماس والشعور بالمسؤولية .

ويمكننا ان نمثل للجيش المتحمس بتلك الجيوش التي أحرزت الانتصارات الهائلة في العالم، ولا وجود الدهر بها إلا بمقدار. فمنها الجيش الاسلامي الاول الذي كان يقوده النبي صلى الله عليه وآله، أما بنفسه أو بأحد مخلصيه، ذلك الجيش الذي استطاع فتح العالم من المحيط الهادي إلى المحيط الاطلسي .

ومنه الجيش الذي كونه (هتلر) من الشعب الالماني بعد إثارته الروح العنصرية فيه، وافهامه لكل فرد منه انه الماني فحسب! وانه مسؤول عن مجد المانيا وسوددها .

فبهذا الحماس والاندفاع يفتح الامام المهدي عجل الله فرجه هذا العالم وينتصر على الكفر والضلال، وما ذلك إلا لأن رجاله رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته (١).

وحالما يتم الفتح، يبدأ الامام القائم عجل الله فرجه، بتطبيق نظامه الامثل في البلاد، ونشر الدين الالهي القيم كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، ذلك الدين القيم الذي يستهدف سعادة البشرية ورفاهها ورقيتها وكمالها. وذلك، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ، انه قال: لا تقوم الساعة حتى يملك الارض رجل من أهل بيتي يواطىء - أي يماثل - اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً (٢).

وعند تطبيق النظام الاسلامي الخالد يبدأ الامام عليه السلام ويبدأ المجتمع الاسلامي معه يجني الثمار الكبرى التي يغرسها النظام الاسلامي حين

تطبيقه، فينتشر العدل ويعم الرفاه ربوع المجتمع الاسلامي. قال رسول الله ﷺ: يخرج المهدي في أمتي يبعثه الله غياثا للناس وتعيش الماشية وتخرج الارض نباتها، ويعطي المال صحاحا ^(١) أي بالسوية بين الناس، كما جاء في خبر آخر ^(٢). وقال صلى الله عليه وآله: تتنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعموا مثلها قط، يرسل السماء عليهم مدرارا، ولا تدع الارض شيئا من نباتها إلا أخرجه ^(٣).

ولا عجب من ذلك بعد انتشار العدل الالهي في الارض ووضع كل شيء موضعه اللائق وانتفاء عنصر الرجس والفساد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ^(٤).

ومن ناحية اخرى تنصهر نفوس المسلمين في البوتقة الاسلامية وتقوم مصالحهم وعواطفهم وروابطهم هلى اساس اسلامي، ويكونون اخوانا متحابين في الله تعالى، وترتفع من بينهم العداوة والشحناء التي اوجدتها المبادئ المتفرقة المتناحرة التي كانت سائدة بينهم قبل ظهور امامهم عليه السلام.

وذلك كما ورد عن امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، انه قال: قلت يا رسول الله، أمنا آل محمد المهدي، أم من غيرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: لا بل منا، يختم الله به الدين، كما فتح بنا. وبنا ينقذون من الفتن كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة اخوانا، كما ألّف بينهم بعد عداوة الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة اخواناً، كما أصبحوا بعد

٢- انظر ص ٢٦١ من نفس المصدر .

٤- الأعراف: ٩٦ .

١- نفس المصدر ص ٢٦٠ .

٣- نفس المصدر ص ٢٦٢ .

عداوة الشرك اخوانا في دينهم ^(١). وفي هذا الحديث مزاجية دقيقة يقيمها النبي ﷺ بين ما عمله بنفسه في صدر الاسلام، من الدعوة إلى الله، ونشر دينه القويم، وبين ما يعمل به الحجة المهدي عند ظهوره، من ذلك.

فانه، بنا، أي بالقادة الاسلاميين تنجو البشرية من الضلمات المادية والحيرة والضلال، كما نجت من المادية والحيرة والضلال في صدر الاسلام. وبنا سوف يؤلف الله بين قلوب الشعب الاسلامي المخلص، بعد العداوات التي غرستها عصور المادية والضلالة، كما ألف الله بين قلوب المسلمين في صدر الاسلام، بعد عداوة الشرك والضلال.

اذن فهناك مزاجية جميلة بين بعثة النبي ﷺ وظهور الامام القائم عجل الله فرجه، وبين هدف النبي ﷺ في جهاده، وهدف المهدي في الجهاد، وبين النتائج الكبرى التي حصل عليها رسول الله ﷺ في بعثته، وبين النتائج الكبرى التي سوف يحصل عليها الامام المهدي في ظهوره.

كما ان هناك مزاجية اخرى، بين العصر الجاهلي، الضال الذي أرسل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبين العصر المادي الضال الذي يظهر فيه الحجة المنتظر عجل الله فرجه. وهناك مماثلة تامة بين جهاد النبي ﷺ وصراعه ضد الكفر والضلال، وصراع المهدي عليه الصلاة والسلام معه، وبين الفوز العظيم والنصر الباهر الذي احرزه النبي ﷺ والنصر الذي يحرزه امامنا المنتظر عجل الله فرجه.

كما أن هناك مماثلة اخرى بين النظام العظيم الذي جاء به نبي الاسلام ﷺ وطبقه، وبين النظام الذي سيطبقه الامام المنتظر عجل الله. ذلك النظام الامثل الذي يُخرج البشرية من الظلمات إلى النور ويهديها إلى الصراط المستقيم.

مصادر الكتاب

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - حياة محمد: محمد حسين هيكل / طبعة سنة ١٣٥٤ .
- ٣ - الكافي: الشيخ الكليني / نسخة خطية .
- ٣ - كشف الغمة: علي بن عيسى الأربلي .
- ٤ - مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي .

الفهرس

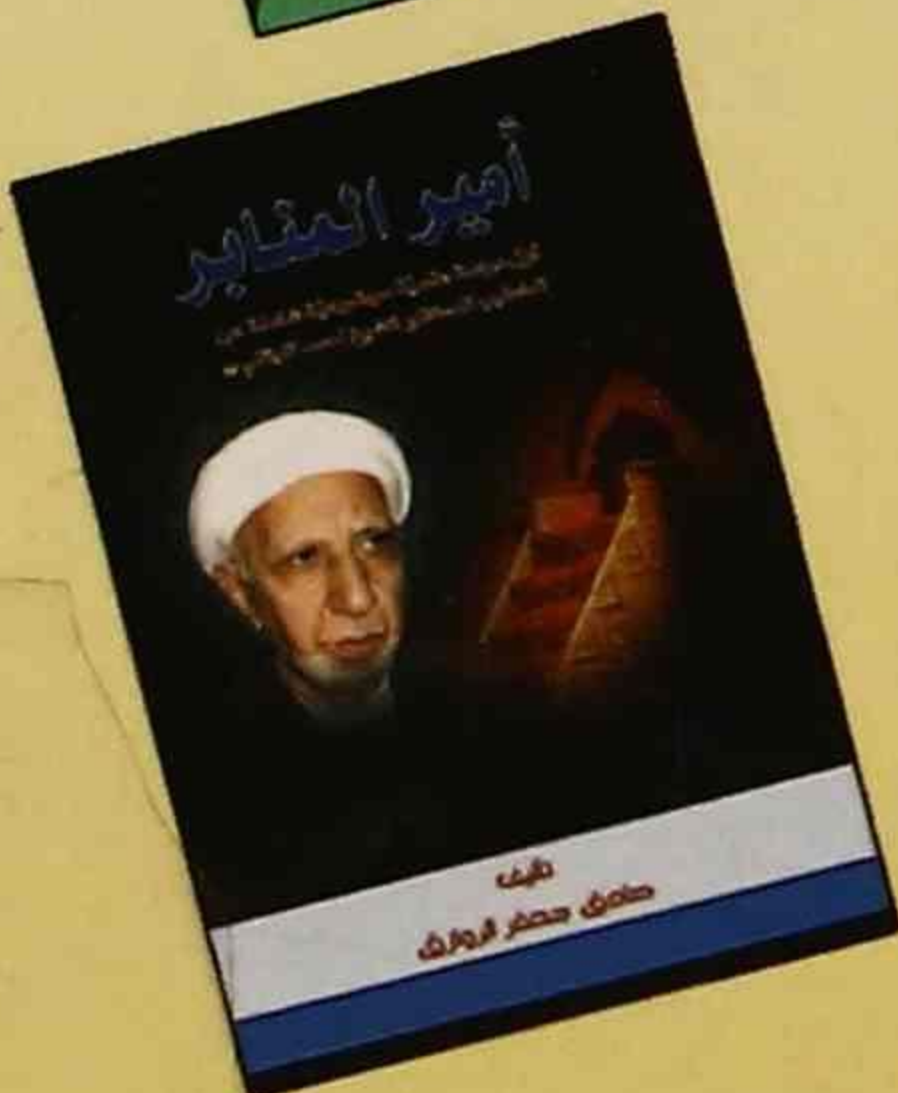
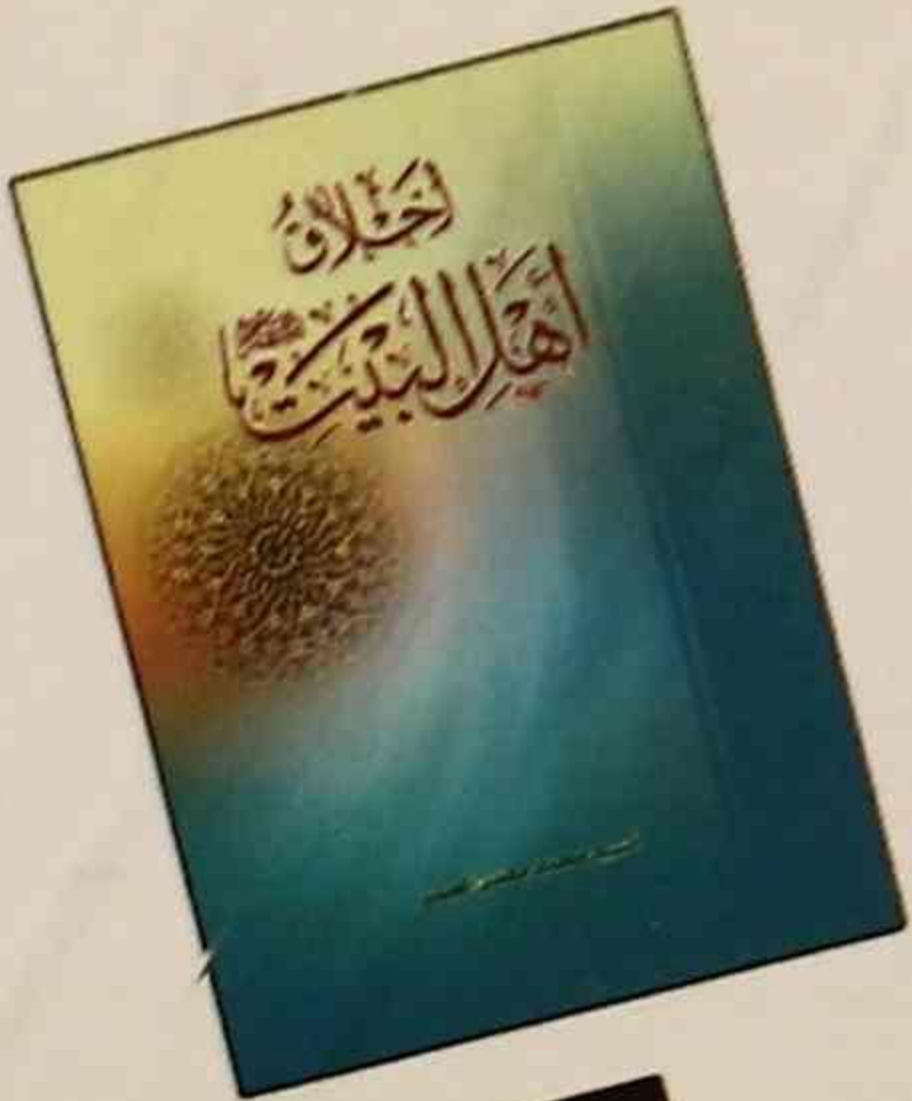
٣	الكتاب والمؤلف
٥	مع القارئ
٧	الفطرة
٧	وأثرها في العقيدة الاسلامية والتوحيد
٢٥	بين يدي التجارة الرابعة
٣٥	من أشعة الامام المهدي المنتظر عليه السلام
٥٧	مصادر الكتاب
٥٨	الفهرس

يطلب هذا الكتاب من مكتبة الصادق عليه السلام لصاحبها عبد الكريم الزهيري

العنوان : سوق القدس / الطابق الارضي / رقم المحل ٥١

تلفون: ٧٤٤٧٠٦ / ٧٤٠٠٥٥

اصدارات مكتبة الإمام الصادق (ع)
لسنة ٢٠٠٥ م



مركز التوزيع:

بغداد - شارع المتنبي - مجمّع الزوراء - الطابق الاول - مكتبة أبي تراب
نقال: ٠٧٩٠١٧٧١٠١٣ / أرضي: ٤١٦١٣٩٧
قم - شارع ارم - سوق القدس - مكتبة الامام الصادق (ع)
هاتف: ٧٧٤٠٠٥٥ فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦ - رقم المحل: ٥١
البريد الالكتروني: m_sadeq2000@hotmail.com